

الواسطي

يحيى بن محمود بن يحيى

رسام وخطاط ومذهب ومزخرف

الدكتور عيسى السلمان

وكاد يزعزع الجمال الشمر وانشد

ما الحج سيرك تأويبا وادلاجا ولا اعتيامك اجمالا واحداجا

الواسطي

يحيى بن محمود بن يحيى رسام وخطاط ومذهب ومزخرف

الدكتور عيسى سلمان

وزارة الاعلام ـ اللجنة التحضيرية لمهرجان الواسطي
السلسلة الفنية الخاصة التي صدرت بمناسبة مهرجان الواسطي

مقدمة تأريخية

شهد العالم العربى والاسلامى (١) ، خلال الربع الاخير من القرن السادس الهجري والنصف الاول من القرن الذي تبعه ازدهارا حضـــاريا مشـــرقا • ومن أهم العوامل المؤثرة في ذلك التقدم الاستقرار السياسي النسبي الذي ســـــاد العالم العربى ، هذا على الرغم من التهديد وبداية الاحتلال المزدوج الذي تعرض له ، ونعنى بذلك الغزو المغولى الذى هبت عاصفته الكاسحة منـــذ سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠م) حيث تسنى لهم احتلال اجزاء من العالم الاسلامي مثل سمرقند ، وبخاري ، ومازندران ، ثم تقدموا نحو مراغه ونيسابور وخوارزم وهمدان واحتلوها (٢) • واعادوا الكرة ودمروا المزيد من المدن الايرانية سنة ٦٢١هـ (١٢٢٤م) (٣) • ومن الغرب كانت الغزوات الصليبية حيث نجح الصليبيون في اقامة بعض الممالـــك في سوريا واحتلوا اجزاء من مصر • وقد استنزفت عملية طردهم وتحرير الاجزاء التي أحتلوها جهودا كبيرة وأموالا طائلة من المسلمين كل ذلك لم يوءثر على ازدهار حضارة عربية فى جوهرها ومحتواها •

---

١ ـ كان العالم العربي الاسلامي يتكون انذاك من شبه جزيرة العرب • العراق • الجزيرة • سوريا • ومصر • والمغرب وكان المغرب يتالف من مراكش والاندلس • المقدس • حسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ٩ •

٢ ـ ابن الاثير • الكامل فى التاريخ • ج ١٢ ص ٢٣٩ ـ ٢٥٩ •

٣ ـ ابن الاثير • الكامل فى التاريخ • ج ١٢ ص ٢٧٢ •

وظهرت على المسرح السياسي في العالم العربي الاسلامي شخصيات مهمة كانت تتمتع بكفاءات ادارية وعسكرية ، وعلمية ، لم يكن لها مثيل في تاريخ العرب المسلمين ، خصوصا اذا ما عرفنا الظروف السياسية والاجتماعية والدينية في البلدان التي دانت لهم ، وقد حالفهم التوفيق في انهم فتحوا الباب واسعا امام الطاقات التي كانت تمتلكها الامة العربية ، وكانت الحضارة العربية التي تعددت مظاهرها وكثرت مخلفاتها ، الترجمة العملية لتلك الطاقات . ففي العراق حكم العباسيون حكما فعليا وعادت هيبتهم الى النفوس في ارجاء العالم الاسلامي ، وفي مصر وسوريا تسلطن الايوبيون وكانت دولتهم من القوة بمكان حيث استطاعت ان تهزم غزوات صليبية عديده وان تدمر ممالكهم التي اقاموها في سوريا ، وفي المغرب والاندلس سيطر الموحدون وعرف عنهم حبهم للعلم والعلماء والجهاد في سبيل الله ، وعرف قادة هذه الدول برعايتهم للعلم والعلماء وتزويد دور العلم باعداد كبيرة من المخطوطات النفسية . كما كان من بينهم من حكم فترة طويلة تزيد على الاربعين عاما ، فكان لهذا اثره في انجاز المهام الكبيرة التي استغرقت وقتا طويلا .

ادعى الموحدون ، الذين بدأ حكمهم للمغرب والاندلس سنة ٥٢٥هـ-٦٥٩هـ (١١٣٠م) وامتد الى ١٢٦٠م ، انهم خلفاء رسول الله (ص) ، وتلقبوا « بأمير المؤمنين » وعرف عنهم جهادهم في الاندلس لفترة طويلة ولكنهم تركوها سنة ٦٢٤هـ (١٢٢٧م) وتمركزت سلطتهم في مراكش . واشتهر الموحدون بتمسكهم بمبادىء الدين الاسلامي وجهادهم في سبيله ، واشتهر منهم الخليفة ادريس المتوفى سنة ٦٤٠هـ (١٢٤٢م) ، وكان اديبا كبيرا ومتضلعا في العلوم ومصلحا دينيا بارزا (٤) . وكانت للموحدين صلات مستمرة مع الايوبيين وقيل ان صلاح الدين الايوبى قد طلب منهم نجدة ضد الصليبيين ، ولكنهم لم يلبوا له طلبه لانه لم يخاطب خليفتهم « بأمير المؤمنين » . ولعل من يتساءل عن ذكر الموحدين هنا وعلاقتهم بالمزوق العراقي المعروف يحيى بن محمود الواسطي . الحقيقة ان الحضارة العربية التي اشرقت آنذاك تتصف بوحدتها وتنوع موضوعاتها على الرغم من سعة العالم العربي الاسلامي ، حيث لا توجد حدود ثقافية وكانت مدارس العلم مفتوحة لطلاب العلم من كل مكان والفنانون ينتقلون من مكان الى آخر وبدون قيود . والمهم ان منمنات المخطوطات التي زوقت في سبتة والاندلس خلال فترة ازدهار الحضارة العربية هي من الامثلة للمدرسة العربية فى التصوير الاسلامي التي كان يحيى بن محمود الواسطي احد مشاهير مصوريها .

---

٤ - ابو الفداء . مختصر تاريخ البشر . ج ٤ ص ٣٣٨ - ٣٤٠ .

٥ - وصلت الينا نسخة مزوقة من كتاب صور الكواكب الثابتة للصوفى . جاء فيها انها زوقت فى سبتة سنة ١٢٢٤ م كما وصلت الينا نسخة مزوقة من كتاب رياض وبياض . تنسب الى الاندلس وتؤرخ حوالي ١٢٤٠ . ونرى فى منمنمات هاتين المخطوطتين صفات المدرسة العربية فى التصوير الاسلامى .

ابتدأ الحكم الايوبي في مصر سنة ٥٦٧هـ / ١١٦٩م وأمتد الى سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م وارتفع شأن صلاح الدين الايوبي وعلت مكانته وصار علما من اعلام تحرير البلاد من الغزاة الاجانب وضاهى اسمه اسم الخليفة العباسي ألناصر لدين الله محرر العراق من سيطرة السلاجقة ومدمر سلطتهم في ايران ٠عرف عن صلاح الدين عبقريته في الحرب والقيادة ، ولكن الذي عرف بازدهار الادب والعلم هو الملك الكامل بن الملك العادل ملك مصر وسوريا والمتوفي سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م ٠ كتب المؤرخون من كتاب السير عن الكامل واشادوا بما عرف عنه من تشجيع العلم والعلماء وتعمير البلاد ٠ حكم الملك الكامل محمد حوالي الاربعين عاما ، امضى نصفها كنائب لوالده على بلاد مصر والنصف الثاني ملك مصر واجزاء من سوريا وجاء ذكر البلاد التي كانت له وكان ذلك سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣م) حيث اورد احد المؤرخين ان خطيب الجمعة في مسجد من مساجد مكة ، عندما دعا للملك الكامل قال : مالك مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزيرة ووليدها سلطان القبيلتين ورب العلامتين خادم الحرمين الشريفين الملك الكامل ابو المعالي ناصر الدين محمد خليل نصير امير المؤمنين (٦) ٠

ولم تشغل ادارة هذه الرقعة الواسعة من العالم العربي الاسلامي الملك الكامل محمد عن تعمير البلاد ورعايته للعلم والعلماء وقد اشار الى ذلك اكثرمن مؤرخ وكاتب سير ٠ فقد جاء انه « عمر البلاد واستخرج الاموال من جهاتهاوكان سلطان عظيم القدر جميل الذكاء محب للعلماء متمسكا بالسنة » ٠ وصفه ابو الفدا بانه « كان محبا للعلماء ومجالستهم ، وكانت عنده مسائل غريبة في الفقه والنحو وكانت سوق الاداب والعلوم عنده نافقة » (٧) ٠ ومن اهم الاثار التي ظلت شاخصة الى وقتنا هذا والتي أمر بتشييدها الكامل ضريح الامام الشافعي في القاهرة وقبته التي تعتبر من أضخم القباب في العالم الاسلامي ٠ كما أنه أكمل القلعة ، التي بدأ بنائها صلاح الدين في القاهرة ، والتي ما زالت تشير الى الامكانية الكبيرة والعناية الفائقة التي اولاها الايوبيون للعمائر ٠ كما ورد اسم السلطان الكامل في كتابة اهداء تزين غرة نسخة مهمة من كتاب خواص العقاقير ، لديوسقوريدس ، مزوقة ، ومؤرخة سنة ٦٢٦هـ / ١٢٣٩م ، وتعتبر منمنماتها امثلة بارزة للمدرسة العربية في التصوير الاسلامي ٠ كما وورد اسم مزوقها على ساقي شجرتين تشغلان صفحتين من ورقة واحدة ويقرأ «عمل علي بن عبدالجبار النقاش» (لوح رقم ١) وهذا المزوق لايقل أهمية عن يحيى بن محمود الواسطي ، خصوصا أذا ما عرفنا انه تجرأ وكتب اسمه ، ولكن في مكان لا يجلب الانتباه ٠

بدأ بعث الحضارة العربية في بلاد ما بين النهرين حين استخلف الناصر

---

٦ ـ ابن خلكان ٠ وفيات الاعيان ٠ ج ٢ ص ٥١ ٠
٧ ـ ابو الفداء ٠ ج ٤ ص ٤٣٠ ٠

لدين الله العباسي (سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م) والذي هزه شعوره القومي فعمل جاهدا على تحرير البلاد من السلطنة الاجنبيـــة وتخليص الوطن من تعسفهم ، فحرر العراق من تسلط السلاجقة وقضى على سـلطانهم حتى في ايـران • ولم يشغله ذلك عن الاهتمام بالعلم والعلماء فقدم الكثير وكانت نتيجة ذلـــك اشراق الحضارة العربية • ولتوضيح ما قدمه هذا القـائد العظيم للوطن وللامة نقتبس بعض ما كتب بحقه • فكتب ابن الطقطقي عنه : وكان باقعة زمانه ورجل عصره في ايامه انقرضت دولة آل سلجوق بالكلية وكان للنـــاصر من المبار والوقوف ما يفوت الحصر وبنى من دور الضيافات والمساجد والربط ما يتجاوز حدالكثرة وكان مع ذلك يبخل وكان وقته مصروفا الى تـدبير امور المملكـــة والى التوليـة والعزل والمصادرة وتحصيل الاموال (٨) • وعـرف عن الخليفة الناصر لدين‌الله سعة اطلاعه في‌الامور العلمية والادارية حيث ،كان من‌افاضل الخلفاء واعيانهم‌بصير بالامور مجربا سائسا مهيبا مقدما عارفا شجاعا متأدبا حاد الخاطر والنادرةمتوقد الذكاء والغبطة بليغا غير مدافع عن فضيلة علم ولا نادرة فهم ، يفاوض العلماء مفاوضـــة خبير ويمارس الامور السلطانيـــــة ممارســـة بصير طالت مدته وصفا له الملك واجب مباشرة احوال الرعية وما يدور بينهـم وكان كـل احد من ارباب المناصب والرعايا يخافه ويحاذره بحيث كأنه يتطلع عليـــه في داره وكثرت جواسيسه واصحاب اخباره عند السلاطين وفي اطراف البـــلاد وله في مثل هذه القصص الغريبة (٩) • امـا عنايتـه بالمـدارس والربط والمسـاجد وتزويد خزانات كتبها بالمخطوطات فكانت كبيرة ، فقـد ورد انه امر « بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية ونقل اليها من الكتب النفيسة الوفا لا يوجـــد مثلها » • وكان ذلك سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م وفي نفس السنة « في ربيع الاول فرغ من عمارة الرباط الظاهري غربي بغداد على دجلة وهو من احســـن‌الربط ونقل اليه كتبا كثيرة من احسن الكتب » (١٠) •

ولم تقتصر عنايته بالعلماء وتزويد خزانات الكتب بالمخطوطات بل صنف كتبا وسمع الحديث النبوي صلوات الله عليه وسلم على صاحبه واسمعه ولبس لباس الفتوة والبســـــه وتغنى له خلق كثيرون من شرق وغرب ورمى بالبندق ورمى له ناس كثيرون (١١) • وكان يهتم جدا في استيزار من لهم باع طويلـة في فنون الحرب والعلم والادب (١٢) •

توفى الخليفة الناصر سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م وخلفه المستنصر بالله أبـو جعفر المنصور ، ٦٢٤هـ /٦٤٠هـ / ١٢٢٦م–١٢٤٢م • اقتفى الخليفة الجديـــد

---

٨ – ابن الطقطقي • الفخرى فـــي الاداب السلطانية • ص ٢٣٦ •
٩ – ابن الطقطقي • ص ٤٣٢ – ٤٣٤ •
١٠– ابن الاثير • الكامل • ج ١٢ • ص ٦٧ – ٦٨ •
١١ – ابن الطقطقي • الفخرى • ص ٤٣٤ •
١٢– ابن الاثير • الكامـــل • ج ١٢ ص ٧٠–٧١ • ابن الطقطقي ٤٣٧ ، ٤٤٠ ابو شـــامة تراجم ٢٥٩ •

طريقة سلفه في العناية بدور العلم وتزويد خزانات كتبها بالمخطوطـــات حيث وطد له سلفه الناصر لدين الله الامور وترك خزائن الدولة مليئة بالاموال • استغل الخليفة المستنصر بالله تلك الاموال في تعمير البلاد وبناء المدارس والمساجـــد والقناطر • قال ابن الطقطقي عنه : كان المستنصر بالله شهما جوادا يباري الريح كرما وجودا وكانت هباته وعطاياه اشهر من ان يدل عليها واعظم من ان تحصى ولو قيل انه لم يكن في خلفاء بني العباس مثله لصدق القائل وله الاثار الجليلة منها وهي اعظمها المستنصرية وهي اعظم من ان توصف وشهرتها تغني عـــن وصفها ومنها خان حربي وقنطرتها وخان نهر سابس باعمـال واسط وخـــان الخرنيني وغير ذلك من المساجد والربط ودور الضيافات (١٣) • وهناك اشارة الى ما نقل الى خزانة الكتب في المستنصرية بعد اكمالها سنة ٦٣١ هـ ــ ١٢٣٣م وجاء انه في يوم الافتتاح نقل اليهـا « من الربعـات الشـــريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينيـــة والادبيـــة ما حمله مائة وستون حمالا ، وجعلت في خزانـــة الكتب ، وتقـدم الى الشـــيخ عبدالعزيز شـيخ رباط الحريم بالحضور بالمدرسة واثبات الكتب واعتبارهـــا ، والى ولـــده العدل ضياء الدين احمد الخازن بخزانة كتب الخليفة التي في داره ايضا فحضر واعتبرها ورتبها احسن ترتيب مفصلا لفنونهـــا ليسهل تنـــاولها ولا يتعب يناولها (١٤) • وولع الخليفة بالاضافة الى جمع المخطوطات النفيســة بالخطوط وجمع ما يمكن جمعه منها وقد ذكر ذلك ابن الكازروني قائلا : وكان قبل ان يلي الخلافة ، لموضع عقله وسداده ، يلقب بالقاضي ، يحب العلم واهله ، وفي ايامه كثر الاشتغال وتجويد الخط والكتابة ، لرغبته في ذلك وميله اليه ، ثم لميله الى العلم وطلبه له انشأ قريبا من مجلسه خزانة كتب جمع فيهـــا انواع العلوم على اختلافها وانتخب فيها خطوط المشايخ والعلماء والكتاب » (١٥) • وزود الخليفــة هذا دار كتب مسجد قمرية بكتـــب كثيرة بعد ان تكامل بنـــاءه سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م بالجانب الغربي من بغداد (١٦) •

ولا يعجب القارئ لما ذكر من المعلومات عن الخليفة المستنصر بالله وعن مدى اهتمامه بالمخطوطات والخطوط لا يعجب ان يرى نسخة مزوقة باجمل التصاوير من مقامات الحريري نسخها وزوقها الواسطي ، وتحمل تاريخ انجازها الذي يقـــع ضمن فترة حكم هذا الخليفة المتنور المولع بفن الخط • ومن المحتمل ايضـــا ان الخليفة كان يفضل المخطوطات المزوقة بايـــدي امهر المزوقين ولكن المؤرخين لم يذكروا ذلك لان موقف الفقهاء من الرسوم والمزوقين قد اثر فيهم فكان نصيب المزوق وفنه الاهمال من قبلهم •

---

١٣ ــ ابن الطقطقي ٤٤٥ ــ ٤٤٦ •
١٤ ــ ابن الفوطي • الحـــوادث ــ ص ٥٤ •
١٥ ــ ابن الكازروني ــ مختصر التاريخ ــ ص ٢٥٩ •
١٦ ــ ابن الفوطي ــ الحوادث ــ ص ٤ •

وكان الخليفة العباسي المستعصم بالله ٦٤٠هـ/١٢٤٢م ، ٦٥٦هـ/١٢٥٨م أكثر خلفاء بني العباس عناية بالكتب والمكتبات . وكان يقضي بعض وقته في التمتع بما كانت تضمه خزائن كتبه من نفائس المخطوطات . واشتهر بولعه بفن الخط حيث كان يكتب خطا مليحا (١٧) . وجاء ان الخليفة ، وفي يوم الجمعة السابع من شعبان سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م قصد المدرسة المستنصرية وتفحص خزانة الكتب فيها فلم ترق له فأمر بحبس المشرفين عليها ثم اطلق سراحهم بعد يومين (١٨) . وفي نفس ذلك اليوم وبعد زيارته لمكتبه المدرسة المستنصرية سلم مفاتيح خزانة كتبه الى شيخه العدل شمس الدين ابن النيار وأمره بالتردد عليها (١٩) . ويظهر ان خزانة كتبه هذه لم تشبع رغبته في اقتناء انفس المخطوطات واتقن الخطوط ، فقد امر بانشاء خزانة كتب اخرى له في داره سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م . وزين جهاتها بأشعار قيلت في وصفها وقيمتها ومن هذه الاشعار ما نظمه صفي الدين عبدالله بن جميل متقدم شعراء الديوان ، وهذه بعض الاشعار التي كتبت عليها :

انشأ الخليفة للعلوم خزانة	سارت بسيرة فضله اخبارها
تجلو عروسا من غرائب حسنها	در الفضائل والعلوم نثارها
أهدى مناقبه لها مستعصم	بالله حسن لالائة انوارها

وفي اواخر ايام هذا الخليفة ، استجد خزانة كتب اخرى اودع فيها أنفس المخطوطات وسلم مفاتيحها الى صفي الدين عبدالمؤمن ، وكان من خواصه ومقرب عنده ، وكان عبدالمؤمن يرابط في باب الدار ينسخ للخليفة ما يريد ، وكان كثير التردد على هذه الخزانة (٢٠) . ورعى الخليفة الخطاطين وبرز منهم ياقوت المستعصمي الذي فاقت شهرته شهرة ابن البواب وابن مقلة . وقد وصلت الينا نسخة نفيسة من «نهج البلاغة» للامام علي بن ابي طالب وهي بقلم ياقوت هذا، وورد اسم هذا الخليفة في منمنمة من منمنمات نسخة من المقامات الحريرية محفوظة الان في مكتبة جامع السليمانية باسطنبول تحت رقم ٢٩١٦ ويستطيع الباحث في فنون الكتاب ان يتصور ما وصل اليه هذا الفن تحت مثل هذه العناية والرعاية التي اولاها الخلفاء للعلم والعلماء والمخطوطات والخطوط . ولعل الذي بين ايدينا من المخطوطات المزوقة ما هو الا جزء صغير جدا مما كانت تكتنزه خزانات كتب القصور والمدارس والمساجد والتكايا .

وأعتنى كذلك الوزراء في ذلك العصر بجمع نفائس المخطوطات وأنشاء دور الكتب في قصورهم فهذا مؤيد الدين ابو طالب محمد بن احمد ابن العلقمي ت

---

١٧ ـ ابن الطقطقي ـ الفخري ـ ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩ .
١٨ ـ ابن الفوطي ـ الحوادث ـ ص ١٧٠ .
١٩ ـ ابن الفوطي ـ الحوادث ـ ص ١٦٣ .
٢٠ ـ ابن الطقطقي ـ الفخري ـ ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

وزير الخليفة المستعصم بالله ، يقيم احتفالا كبيرا بمناسبة افتتاح دار كتب في قصره حيث نقل اليها كتبا كثيرة • وخلد الشاعر العدل موفق الدين القاسم بن ابى حديد هذه المناسبة بقصيدة لامية حفظتها لنا كتب التاريخ وهى :

رأيت الخزانة قد زينت	بكتب لها المنظر الهائل
عقول الشيوخ بها الفت	ومحصوله ذاك الحاصل
ولما مثلت بها قائما	واعجبنى الفضل والفاضل
تمثلت اسماءها منكم	على النقل ما كذب الناقل
بها « مجمع البحر » لكنه	من الجود ليس له ساحل
ومنها « المهذب » من فضلكم	« ومغن » لكنه نائل
ومنها « الوسيط » بما نر	تجيه وفيها « النهاية» و «الكامل»
وان كان « اعوزها » شامل	فقد زانها جدول الشامل
وان كان قد فاتها فائت	ابو الفضل في عمله كامل (٢١)

ولم تكن عناية ابن العلقمي هذه بالمخطوطات تقليدا للخليفة المستعصم بالله بل عرف عنه : انه اشتغل في صباه بالادب ففاق فيه وكتب خطا مليحا وترسل ترسلا فصيحا وضبط ضبطا صحيحا وكان رجلا فاضلا كاملا لبيبا كريما وقورا محبا للرئاسة كثير التجمل رئيسا متمسكا بقوانين الرئاسة خبير بادوات السياسة لبيق الاعطاف بالات الوزارة وكان يحب اهل الادب ويقرب اهل العلم ، اقتنى كتبا كثيرة نفيسة •• وقال استلمت خزانة والدي على عشرة الاف مجلد من نفائس الكتب وصنف الناس له الكتب •• الخ (٢٢) •

وذكر ان ملك الموصل بدرالدين لؤلؤ عبدالله اهدى الى العلقمي كتبا وثيابا ولطائف قيمتها عشرة الاف دينار (٢٣) • وكانت مملكة بدر الدين لؤلؤ هذه هي من املاك الدولة الزنكية التي اشتهر من ملوكها عمادالدين زنكي الاتابكي ٥٢١هـ ــ ٥٤١هـ / ١١٢٧ـ١١٤٦م • وكان لؤلؤ في اول الامر مدبرا لدولة بني زنكي ، ثم استطاع سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م أن يسلب السلطنة منهم وحصل على تقليد من الخليفة العباسي وتلقب بالملك الرحيم • حكم بدرالدين لؤلؤ الى ما بعد احتلال المغول لبلاد ما بين النهرين واستطاع ان يحصل على تقليد من هولاكو بتمثيله في حكم مدينة الموصل ، وتوفى بدرالدين هذا سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٩م • وعرف عنه اهتمامه بالعلم والعلماء ، على الرغم من كونه اميا ،وشيد العديد من العمائر الدينية والمدنية في مدينة الموصل وما زال بعضها باقيا الى الوقت الحاضر • وفي شمال بلاد ما بين النهرين ، وخلال الفترة الزمنية التي ازدهرت فيها المدرسة العربية في التصوير الاسلامي ، قامت دولة اتابكية اخرى هى الدولة الارتقية حيث رعى احد ملوكها وهو ناصرالدين محمود ابن

٢١ ــ ابن الفوطى ــ الحوادث ــ ص ٢٠٩ ــ ٢١٠ •
٢٢ـ ابن الطقطقي ــ الفخرى ــ ص ٤٥٥ـ٤٥٦ •
٢٣ـ ابن الطقطقي ــ ص ٤٥٦ •

الرزاز الجزري مؤلف كتاب الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل، وقد وصلت الينا نسخة مزوقة من هذا المؤلف مؤرخة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م وتمثل منمنماتها المدرسة العربية ٠ وهذه النسخة الان في مكتبة متحف طوبقابي سراي باسطنبول محفوظة تحت رقم (٣٤٧٢ احمد الثالث) ٠

واستكمالا للصورة التي كانت عليها بغداد عاصمة العالم الاسلامي ننقل العبارت التي وصفت بها بغداد في بداية عصر النهضة الحضارية حيث قال ابن جبير الذي زارها سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م : وهي جانبان شرقي وغربي ودجلة بينهما فاما الجانب الغربي فقد عمه الخراب واستولى عليه وكان المعمرر اولا٠ وعمارة الجانب الشرقي محدثة لكنه مع استيلاء الخراب عليه يحتوي على سبع عشرة محلة كل محلة منها مدينة مستقلة وفي كل واحدة منها الحمامان والثلاثة والثمانية منها بجوامع يصلى فيها الجمعة فاكبرها القرية التي نزالنا فيهابربض يعرف بالمربعة على شط دجلة بمقربة من الجسر فحملته دجلة بمدها السيلى فعاد الناس يعبرون بالزوارق والزوارق فيها لا تحصى كثرة فالناس ليلاونهارا من تمادي العبور فيها في نزهة متصلة لا تحصى رجالا ونساء ٠٠ الخ (٢٤) ٠

أما ياقوت الحموي الذي عاصر عهد ازدهار الحضارة في العالم العربي الاسلامي فيصف بغداد : جنة الارض ومدينة السلام وقبة الاسلام ومجمع الرافدين وغرة البلاد وعين العراق ودار الخلافة ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرايف واللطايف بها ارباب الغايات في كل فن واحاد الدهر كل نوع (٢٥)

نعم كان فى بغداد احاد الدهر في كل فن وصنعة والواسطي هو احدهم فلم يبلغ احد من المزوقين ما بلغه حيث نقل لنا وبصورة دقيقة معالم الحياة في مجتمع بغداد ٠ كما وكان في بغداد ياقوت المستعصي ، صاحب اجود خط عرف في عصره ونستطيع ان نضيف الى ما قاله ياقوت الحموى عن بغداد انالعالم العربي الاسلامى خلال فترة ازدهار المدرسة العربية في التصوير الاسلامى كان فيه احاد الدهر فى الادارة والسياسة والتاريخ والجغرافية والطب وعلوم الفلك والفقه والحديث والتفسير ففي هذه الفترة الزمنية عاش الناصرلدين الله العباسي ، والمستنصر بالله والمستعصم بالله ، وصلاح الدين الايوبي والملك الكامل وبدر الدين لؤلؤ وامير المؤمنين الموحدي ادريس وفيها ايضا عاشياقوت الحموي صاحب اهم مؤلف فيالعلوم الجغرافية، الا وهو معجم البلدان وصاحب كذلك معجم الادباء وغنى هذا ان نقيم هذين المؤلفين ، كما عاش وفي بلاد مابين النهرين (العراق) اشهر مؤرخ عربي عرفت كتاباته بالدقة والشمول الا وهو ابن الاثير صاحب الكامل في التاريخ ، وفي هذه الفترة ايضا عاش مؤلف كتاب العلم والعمل النافع في صناعة الحيل لابن الرزاز الجزرى ثم هناك الواسطي يحيى بن محمود ، زعيم المدرسة العربية في التصوير الاسلامي وياقوت المستعصي

٢٤- ابن جبير - الرحلة - ص ٢٢٦ -٢٢٧ ٠
٢٥- ياقوت الحموى - معجم البلدان - ج١ - ص ٦٨٥ ٠

الخطاط المشهور . وهناك الكثيرون ممن ابدعوا في فنون العلم والادب . والى هذه الفترة الزمنية تعود اجمل الاثار العربية الاسلامية التي تزين امهات مدن العالم العربي الاسلامي فبغداد تفتخر وتعتز بالمدرسة المستنصرية وقنطرة حربي ومرقد السيدة زمردة خاتون (المعروف بمرقد الست زبيدة) ومئذنة جامع قمريه والقصر العباسي ، والموصل تشمخ بمئذنتها الحدباء ومرقد يحيى ابو القاسم وقره سراي ومشهد خزام وحلب ودمشق فيهما من اثار الفترة ما يغطي على بقية اثار الفترات الاخرى . وتطالعنا قلعة القاهرة وقبة مشهد الامام الشافعي وتعتز فاس وبعض المدن المغربية بما ترك الموحدون من العمائر الجميلة .

ومما يحز في القلوب ان العالم العربي الاسلامي ، وخصوصا جناحه الشرقي تعرض في سنة ١٢٥٨م/٦٥٦هـ الى نكبة هائلة باحتلال بغداد من قبل الجحافل المغولية بقيادة هولاكو خان وقتل الخليفة المستعصم بالله . فكان لتلك النكبة من الاثار السريعة والبعيدة المدى ما اوقف ذلك الازدهار الحضاري الذي شهده العالم العربي الاسلامي . فالمآسي التي حلت بعاصمة الاسلام لا توصف فقد دام القتل والنهب والتخريب في بغداد حوالي الاربعين يوما (٢٦). احرقت فيها دور الكتب وهدمت العمائر الجميلة ونهبت القصور وقد فعل المغول مثل ذلك في معظم المدن الاسلامية التي فتحوها حيث كانت تترك خرابا وبدون بشر . ومما زاد في الطين بلة ان مدينة بغداد تعرضت لمجاعة كبيرة في نفس تلك السنة وكان اهل الحلة والكوفة والمسيب يجلبون الى بغداد الاطعمة وكانوا يبتاعون باثمانها الكتب النفيسة والصفر المطعم وغيره من الاثاث باوهى قيمة (٢٧) .

ازدهار فنون الكتاب

ويمثل أزدهار فنون الكتاب ، خلال الفترة الزمنية المعنية ، مظهرا من مظاهر النضوج الحضاري في العالم العربي الاسلامي . وكما ذكرنا ، فان رعاية العلم والعلماء والعناية بالمؤلفات والخطوط وتزويد دور العلم والقصور بانفس المخطوطات ، كانت من اهم العوامل الازدهار فن الخط والتزويق ، وعلى الرغم من ان عدد المنمنمات التي تمثل المدرسة العربية في التصوير الاسلامي يزيد على الالف فانها ، على ما يبدو من اهتمام اصحاب النفوذ بالمخطوطات ، لا تكون الا جزءا يسيرا مما كان موجودا .

٢٦ـ ابو الفدا ـ ج ٤ ـ ص ٥٥٢ .
٢٧ـ ابن الفوطي ـ الحوادث ـ ٣٣١ .

فقد نهبت آلاف المخطوطات واحرق الكثير منهـــا أو تلفت بسبب عوامل طبيعية وغيرها .

وتعكس تصاوير يحيى بن محمود بن يحيى الواسطى وكـــل المنمنات التي تنسب الى هذه المدرسة الاتقان والدقة التي وصل اليها فن التزويق . ولهذا الفن جذوره التاريخية كما لبقية الفنون الاسلامية ويمكن تتبع صيغه واساليبه وعناصره فى مجموعة التصاوير الاثرية التى وصلت الينا وفيما حفظته لنا كتب التاريخ والادب والتراجم من اخبـــار عن فن توضيح المخطوطات وتزويقهـــا . ويستنتج من الاخبار التاريخية ان فن التزويق دخل الحضارة العربية الاسلامية في البداية مع ما عرب من مؤلفات من انتاج حضارات سابقة على الاسلام . وكانت معظم تلك الكتب خاصة بامور الطب والفلك والفلسفة والتاريخ . وبدأ التعريب منذ العصر الاموي فقد امر الخليفة الاموي هشام بن عبـــدالملك ١٠٥ – ١٢٥ هـ / ٧٢٤–٧٤٣م بتعريب موءلف عن ملوك الفرس وجاء ان ذلك الكتاب كان متحـلى بتصاوير ٢٣ ملكا بينهم ملكتان . ويحتمل جدا أن النسخة العربية كانت موضحة بتصاوير اولئك الملوك والملكتـــين . وزاد التعريب في العصر العبـــاسي الاول خصوصا في عهد الخليفة المأمون الـــذي انشأ دار الحكمـــة وارسل البعوث الى الخارج لاختيار المؤلفات المهمة لتعريبها وقبل عصر المأمون وفي عهد الخليفة العباسي الاول السفاح ، عرب كتاب كليلة ودمنة لبيدبا ، عربه عبـــدالله بن المقفع المتوفى سنة ١٣٣هـ / ٧٥٠م . وهناك أشارة مهمة فى مقدمة الكتاب بقلم المعرب اشـــار فيها انه جعل الكتاب موضحا بالصور لكي يكون مورد رزق للناسخ والمزوق . وفي عهد المأمون عربت كتب الطب والفلك وعلى الغالب كانت تلك الكتب موضحـــة بتصاوير . ولم يقتصر التزويق على الكتب العلمية والادبية والتاريخية التي الفت قبل الاسلام بل دخلت الكتب الدينية التي كانت تزين بتصاوير لشرح مبادىء الدين . والمعروف ان الديانات السابقة على الاسلام ، المانوية والبوذية والمسيحية قد اعتبرت التصاوير من الوسائل المهمة لتوضيح مبادىء الدين وتجسيمها وتعريف الناس بها . وكان اصحاب تلك الديانات يسرفون ايما اسراف في تزيين كتبهـم الدينية . ويمكن تصور ما كان يصرف على تزويق الكتب الدينية من الرواية التي جاءت لتبين موقف السلطة العباسية من اتباع ماني ببغداد أو الزنادقة كما كانوا يعرفون ، ففي سنة ٣١١هـ / ٩٢٣م احرقت فى بغداد وعلى باب العامة صـورة ماني واربعة اعدال من كتب المانوية فسال منها الذهب والفضـــة (٢٨)

ولفت انتباه المؤرخين المسلمين والمسيحيين عناية المانويين بتزويق كتبهم الدينية والاسراف في ذلك . ويظهر ان هذه الديانة لم تنته وظل لها اتبـــاع . ونشط اتباع ماني في العصر العباسي واتهم عبدالله بن المقفع بالزندقة وانه زاد فصلا عندما عرب كليلة ودمنة ضمنه مبادىء ذلك الدين ، اى المانوية ، وقيل انه

---

٢٨ – ابن الجوزى – المنتظم – ج ٦ – ص ١٧٤ .

اعدم بسبب اعتناقه ذلك الدين • وجند الخليفة المهدي الجدليين بالرد على الزنادقة وامر بقتلهم اينما وجدوا واحرق كتبهم (٢٩) •وذكر ان هذا الخليفة قال ماوجد كتاب زندقة الا واصله ابن المقفع (٣٠) • وصار اتباع المانوية من القوة بحيث قاد الخليفة المأمون بنفسه حملة للقضاء عليهم (٣١) •

والمراد مما تقدم ان فن التزويق كان معروفا في العالم الاسلامي منذ العصر الاموي ودخل الحضارة الاسلامية مع ما عرب منه مؤلفات ولكن فضل العرب المسلمين في هذا المجال هو نقل فن التزويق من الكتب او المؤلفات الدينية الى الكتب الدنيوية كما كان لهم الفضل في اضافة الرسوم الادمية وصور الحيوانات والطيور الى الرسوم التي كانت توضح كتب الطب والميكانيك • فلم يعرف هذا الاسلوب قبل العصر الاسلامي •

ومما يؤسف له ان ما وصل الينا من الرسوم على الورق قبل ازدهار المدرسة العربية قليلة ومعظمها تعود الى نهاية العصر الطولوني والعصر الفاطمي وتتكون من مجموعة رسوم على اوراق وجدت في مصر واغلبها الان في مجموعة الارشيدوق رينر في دار الكتب الوطنية في فينا (٣٢) • ويحتمل ان بعض هذه الاوراق منزوعة من مخططات مزوقة • ويؤكد ذلك بعض الاشارات التاريخية عن غنى دور الكتب بالمخطوطات النفيسة في مصر او القاهرة في العصر الفاطمي • وجاء ان من بين ما وجد في خزانة كتب المستنصر بالله الفاطمي كتب مزينة بالذهب والفضة (٣٣) • وعرف عن الخلفاء الفاطميون عنايتهم ورعايتهم لفن التصوير واستدعاء احد وزرائهم رسام من بغداد لينافس رسام قاهري كان مغرورا بفنه (٣٤) •

واقدم مخطوطة كاملة ومزوقة وصلت الينا نسخة من كتاب صور الكواكب الثابتة لعبد الرحمن الصوفي مؤرخة سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م ومحفوظة الان في مكتبة بودليان في اكسفورد تحت رقم ١٤٤ مارش • اما المخطوطات التي تكون منمنماتها المدرسة العربية في التصوير الاسلامي فاقدمها مؤرخة سنة ٥٩٥هـ ـ ١١٩٩م ، وهي نسخة من كتاب الترياق لجالينوس محفوظة الان في دار الكتب الوطنية في باريس تحت رقم (٢٩٦٤ مخطوط عربي) ومن الكتب الطبية التي اشتهرت خلال القرن الثاني عشر والقرن التالي له كتاب خواص العقاقير لديوسقوريدس وكتاب البيطرة للحسن بن احمد • ومن المؤلفات العلمية التي زوقت بتصاوير كتاب الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل لابن الرزاز الجزرى • وأشتهر من كتب الادب كتاب كليلة ودمنة

٢٩ـ المسعودي ـ مروج الذهب ـ ج٨ ـ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ •
٣٠ـ ابن كثير القرشي ـ البداية والنهاية ـ ج ١٠ ـ ص ٩٦ •
٣١ـ المسعودي ـ مروج الذهب ـ ج ٧ ـ ص ١٢ـ١٥ •
٣٢ـ زكي محمد حسن ـ اطلس الفنون الزخرفية ـ الاشكال ـ ٨٤٩ ـ ٨٥٥ •
٣٣ـ زكي محمد حسن ـ كنوز الفاطميين ـ ص ٢٨ •
٣٤ـ المقريزي ـ خطط ـ ج٢ ـ ص ٣١٨ •

لبيدبا وكتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ثم كتاب المقامات الحريرية • هذه هي المؤلفات العلمية والادبية التي كان الاقبال عليها شـــديدا فكثر نسخها ونزويقها • ومنمنمات المدرسية العربية في التصوير الاسلامي هي رسوم توضيحية بالدرجة الاولى رسمت لتسهيل فهم عبارة معقدة او تبيان تحضير دواء او جمع مادة من نباتات واشجار لها فائدة طبيـــة • وبالرغم من ذلك فان هذه الرسوم التوضيحية تعتبر بحق لوحات فنية عبر فيها المزوق عن فنـــه وابداعه ونقل ما كان يراه امامه من صور اجتماعية والات وادوات وغيرها • فهذه التصاوير رسوم توضيحية ولوحات فنية ووثائق تاريخية مهمة تنعكس فيها عـــادات وتقاليد المجتمع التي لم يكتب عنها المؤرخون •

مقامات الحريرى

تصدرت مقامات الحريري قائمة الكتب الادبية التي اتسعت شهرتها وذاع صيتها وزاد الاقبال عليها خلال الفترة الزمنية التي ازدهرت فيها مدرسة التصوير العربي ، اى فى الربع الاخير من القرن السادس الهجرى والنصف الاول من القرن السابع • وصارت خزانة كتب الاديب والعالم والمثقف لاتخلو من نسخة من هذه التحفة الادبية ، فكثر نتيجة لذلك ، نسخها وتزويقها وزخرفتها ، وكانت مفخرة العصر ، ان يعلن متعلم او مثقف أن مكتبته تضم نسخة منهـا بقلم خطاط معروف او مزوق مشهور والحقيقة ان مقامات الحريرى موســوعـة علوم عصرها ، وفريده من فرائد الادب العربي الاصيل • وموءلفها الحريـرى وهو ابو محمد القاسم بن محمد بن عثمان البصري الحريرى ، ولد سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤ م فى ضاحية من ضواحى البصرة ، وانتقل الى مدينة البصرة واشتغل فى ديوان الخلافة بوظيفة صاحب الخبر • ولكن شهرة الحريرى لم تأت من تقلده هذا المنصب بل من تاليفه المقامات التى دعيت باسمه وكانت سبب شهرته ونيله الحظوة عند ذوى السلطة في ذلك الوقت • عاش الحريرى حوالى سبعين عاما قضاها في البصرة وبغداد ، وكان من اعلام عصره يشار اليه بالبنان ولازمة وسمع عنه الكثير من لادباء والشعراء وتوفى سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م بالبصـــرة وله مصنفات فى اللغة والادب والشعر ولكن اشهرها المقامات •

والمقامة ، لغة ، العظة او الخطبة ، وتتكون مقامات الحريري من خمسين مقامة ٠ ونظرا للشهرة الواسعة التى نالتها هذه المقامات فقد كثرت شروحها واختلف كتاب السير والموءرخون فى سبب تأليفها ولمن كتبت وبأمر من ٠٠ ومع ذلك فأن اغلبهم يتفقون بانها انشأت لوزير الخليفة المسترشد بالله العباسي وان لم تكن للخليفة نفسه ، وقد اشار الحريرى فى المقدمة اشارة غير واضحة الى الشخص الذى طلب منه ان يتمم او يكمل المقامات ، بعد ان سمع بعضا منها ، قيل ان الحريرى الفها للوزير شرف الدين ابى نصر انوشروان بن خالد بن محمد وزير الخليفة الامام المسترشد بالله العباسى ٠ وقيل انه صنفها للوزير جلال الدين عميد الدولة ابى الحسن علي بن ابى العز علي بن صدقة ، وهو كذلك وزير الامام الخليفة العباسى المسترشد بالله ويظهر ان العناية بها من قبل وزير الخليفة العباسي قد رفع من شأنها فكثر الطلب عليها وتناولها الادباء والشعراء ، بالشرح والوصف كما ذكرنا فقد جاء ان المؤلف نفسه قد نسخ منها حوالي ٥٠٠ نسخة بنفسه وقيل ٧٠٠ ٠ ومن أروع ما وصفت به المقامات ثلاث ابيات شعر قالها بحقها الزمخشرى المتوفي سنة ٣٥٨ هـ وهي :ـ

اقسم بالله واياته ... ومشعر الحج وميقاته
ان الحريرى حرى بان ... تكتب بالتبر مقاماته
معجزة تعجز كل الورى ... ولو سروا فى ضوء مشكاته

ويذكر المؤلف فى المقدمة الدافع لتأليف هذه المقامات وصنوف العلوم التى تضمنتها فيقول :

وبعد فانه قد جرى ببعض اندية الادب الذى ركدت فى هذا العصر ريحه، وخبت مصابيحه ذكر المقامات التى ابتدعها بديع الزمان ، وعلامة همذان ، رحمه الله تعالى ، وعزا الى ابي الفتح الاسكندرى نشأتها ، والى عيسى بن هشام روايتها ، وكلاهما مجهول لايعرف ونكرة لاتتعرف ، فأشارة من أشاراته حكم ، وطاعته غنم ، الى ان انشىء مقامات اتلو فيها تلو البديع ، وان لم يدرك الضالع شأو الضليع ، فذكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم بيتا او بيتين ، واستقلت من هذا المقام الذى فيه يحار الفهم ، ويفرط الوهم ، ويسبر غور العقل وتتبين قيمة المرء في الفضل ، ويضطر صاحبه الى ان يكون كحاطب ليل ، او جالب رجل وخيل ، وقلما سلم مكثار ، او أقيل له عثار فلما لم يسعف بالاقالة ، ولا اعفى من المقالة ، لبيت دعوته تلبية المطيع ، وبذلت فى مطاوعته جهد المستطيع ، وانشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة ، وفطنة خامدة ، وروية ناضبة ، وهموم ناصبة ، خمسين مقامة تحتوى على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله ؤ وغور البيان ودرره ، وملح الادب ونوادره ، الى ماوشحتها به من الايات ، ومحاسن الكتابات ورصعته فيها من الامثال العربية واللطائف الادبية والاحاجي النحوية ، والفتاوي اللغوية ، والرسائل المبتكرة ، والخطب

المحيرة والمواعظ المبكية ، والاضاحيك الملهية ، مما امليت جميعه على لسان ابى زيد السروجي واسندت روايته الى الحارث بن همام البصري ••

ويعتقد معظم الذين كتبوا عن الحريرى ان ابا زيد السروجي هو شخص حقيقي ومن طلاب الحريرى واسمه المطهر أبن سلام وكان من لغوى البصرة ونحاتها ، ولد في البصرة وعاش بها ثم توفى بغداد ، اما الحارث فيعتقد انه الحريرى نفسه •

وقارىء المقامات يعجب ايما اعجاب بجزالة اللفظ وقوة السبك ومتانة الاسلوب وتمكن صاحبها وتمرسه فى علوم عصره ، ونجاحه فى نقل صورة المجتمع ومظاهر الحياة فيه بابلغ عبارة وادق وصف كل هذا شجع النساخون والمزوقون ، فكثر نسخها وتزويقها ، وفيها مادة خصبة للمزوق ففيها من الصور ما لايحسب • والذى يهمنا ان الواسطى يحيى بن محمود ترجم تلك الصور الذهنية الى واقع ، بالالوان وجعل منها مرآة ناصعة لواقع المجتمع العربي الاسلامي فى بغداد فنرى فيها عادات القوم وتقاليدهم وعرفهم فى الاجتماعات الادبية والدينية وغيرها ، كما ونشاهد فيها الادوات والآلات المنزلية وانواع الملابس أو الازياء التى كانت سائدة والتى نعرف اسماءها فقط ولانعرف صورتها •

وتحتفظ مكتبات العالم بعدة نسخ مزوقة من المقامات الحريرية • وتنسب منمنمات خمس منها الى المدرسة العربية فى التصوير الاسلامى وهذه النسخ هى نسخة مكتبة المتحف البريطاني مؤرخة ٦٥٤ هـ وتنسب الى مدينة بغداد ومحفوظة تحت رقم ٢٢١١٤ مخطوط عربي ، ونسخة دار الكتب الوطنية فى باريس ، موءرخة ٦١٩هـ /١٢٢٢م وتنسب الى دمشق رقمها ٦٠٩٤ مخطوط عربي ، وتضم هذه الدار كذلك اشهر النسخ ، نسخة الواسطى المؤرخة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م والمنسوبة الى بغداد ، ومحفوظة تحت رقم ٥٨٤٧ مخطوط عربي ، والنسخة الرابعة فى مكتبة معهد اكاديمية العلوم الشرقية فى لينينغراد غير مؤرخة وتنسب الى القاهرة ، رقمها ٢٣ س والنسخة الخامسة فى مكتبة جامع السليمانيه فى اسطنبول ، غير مؤرخة • ولكن اسم الخليفة العباسي المستعصم بالله قد ثبت فى منمنمة من منمنماتها ، لذلك ارخت ما بين ١٢٤٠ الى ١٢٥٨م ونسبت الى بغداد ورقمها ٢٩١٦ • وجميع هذه النسخ تتصف بكثرة منمنماتها وهناك تشابه فيما بينها من حيث الصيغ الفنية والاسلوب وبعض العناصر الفنية وذلك ناتج أن منمنمات جميع هذه النسخ هي جزء منما يطلق عليه اسم المدرسة العربية فى التصوير الاسلامى ، التى عرفت بوحدة أسلوبها وعناصرها وصيغها ، كما أن للنص الموضح أثر فى هذا التشابه الكبير فى منمنمات هذه النسخ الخمس من المقامات الحريرية • ومع ذلك فان منمنمات كل مزوق تختلف فى التفاصيل عن منمنمات غيره •

وبحق اعتبرت منمنمات يحيى بن محمود الواسطي اروع تصاوير المدرسة العربية فهى تستحق أكثر من بحث او كتاب لما فيها من تنوع كبير فى الصيغ ونقل دقيق لعادات وتقاليد المجتمع وقيمة فنية هائلة أذا ما اخذنا عدد الاشخاص والعمائر وبقية الاشياء المرسومة بعين الاعتبار ٠

وصف النسخة التي زوقها الواسطي ٠

تعرف هذه النسخة بين المهتمين بالتصوير الاسلامى ، باسم شيفـــر الحريرى ، نسبة الى مالكها الاول شيفر الذى أهداها الى دار الكتب الوطنية فى باريس وادرجت فى فهارس الدار تحت رقم ٥٨٤٧ ، مخطوط عربى وهـــذه النسخة كاملة ومجلدة بجلدها الاصلي ، ورقها جيـد ، وبها ١٦٧ ورقـــة عرض ٢٧٦ مم وطول ٣٣٧مم ، وعدد الاسطر فى الصفحة ١٥ سطرا ، كتبت بمداد اسود يميل الى الحمرة وبخط نسخ جميل متقن منقط ومشكل وثبت الناسخ اسمه وتاريخ انجاز النسخ على اخر صفحة منها فقد جاء :

فرغ من نسخها العبد الفقير الى رحمة ربه وغفرانـه
وعفوه يحيى بن محمود بن يحيى بن ابى الحسن
كوريها الواسطي بخطه وصوره آخر نهار
يوم السبت سادس شهر رمضان سنة
اربع وثلثين وستمائة حامدا
الله تعـــالى ٠٠ الخ

وهذه النسخة الوحيدة من بين النسخ الاخرى التي ثبت الناسخ اسمه وقال ايضا أنه المصور وذكر التاريخ ولكن لم يشر الى اسم المدينة التي كـــان يعمل فيها أو يذكر اسم الشخص الذى زوق ونسخ له هذه المخطوطة ٠ ومـع ذلك فقد اتفق معظم علماء الفنون الاسلامية ، وعلى ضوء المعالم الفنية لمنمنمـات هذه النسخة وبعض الاشارات التاريخية من نسبتها الى بغداد ، عاصمـــة الخلافة العباسية ٠

ويظهر من عدد منمنمات هذه النسخة ان يحيى بن محمود قد صرف جهدا كبيرا ووقتا ليس بالقصير فى نسخها وتزويقهافقد زينها باربع وتسعين منمنمةوخط عناوين المقامات بالذهب وبحروف كبيرة وجعل وقفات الجمل بشكل وردة ذات ستة فصوص وبالذهب ، واستغل الفراغ على جانبى بعض المنمنمات وملاءه بكتابة عامودية بشكل اسنان المنشار ، ولكن على مقياس اوسع ، ومما يوءسف لـــــه أن اصباغ الكثير من هذه المنمنمات قد نفضت او سقطت وأعيد صبغها فى وقت متأخر مما شوه بعضها واضاع معالم بعض الوجوه ونقشات الملابس فى بعضها الآخر • واهم ما يجلب الانتباه ان الرسام الذى أعاد تلوين الاجزاء التى نفضت الوانها لم يكن صاحب يد ماهرة أو له المام كاف بهذا الفن من فنون الكتاب • فقد أعاد تخطيط الكثير من الوجوه وصار من الصعب فى عدد من هذه المنمنمات التفريق بين الذكور والاناث وبين الكهول والشباب حيث لون لحى الرجـــال جميعهم بلون اسود ، خصوصا وجه ابى زيد ، الذى ركز عليه الواسطـــى باعطائه ملامح خاصة ومنها لحيته البيضاء وملامح وجهه الماكرة وامتد هـــذا التخريب الى الملابس فطمست الالوان المتأخرة الصيغة التي عبر بها الواسطـي عن طيات الملابس كما دمرت الزخارف الدقيقة التى كانت تزينها واتلفت حتى صفة الملابس من حيث سعة الاكمام وفتحات الصدور وغيرها من الامور التـــي تتعلق بطراز الملابس ، ومع كل هذه التشويهات فهناك عدد لاباس به مـــن المنمنمات التى لم يغير التشويه أو التصليح مـــا بها من دقـة واتقـان وفن

المنمنمـــــــات

نثر الواسطي الرسوم في هذه النسخة النفيسة ، ونجح فى اختيار العبارات أو المواقف المهمة من كل مقامة وترجمها بمنمنمة ،طغت بواقعيتها وتعبيرتها وجوها الفني على الروعة الادبية للعبارة الموضحة • ومما سهل هذه المهمة هـــو ان الواسطى قد نسخ المخطوطة فكان يتحكم باختيار الموقف الهام من كل مقامة وتحكم ايضا بالفراغ ، سعته ، وصغره ، الذى تركه للتصويرة • وهذا قـــد لايتوفر لمزوق آخر فمن المعروف ان الناسخ ينجز عمله اولا ، وهو الـــذى يتحكم فى ترك الفراغات للتصاوير ، ولم يتقيد الواسطى فى مراعاة عدد مـــا يحلى به المقامة من المنمنمات ، فقد وضح بعضها بصورة واحدة وبعضها الاخر باثنتين او ثلاث ولم يوضح قسما منها •

وفى كل صفحة من صفحات هذه النسخة نرى فن الواسطي وقابلياته غير المحدودة لا فى التزويق فقط بل فى الخط والزخرفة والتنسيق والانسجام بين فنون الكتاب ، الخط والتذهيب والتزويق ولم يترك يحى بن محمـــــود الواسطي فراغا الا واستغله الاظهار براعته وتمرسه الفنى • فعنوان المخطوطة مثبت بخط جميل فى جامعة مستطيلة تحتل وسط الصفحة الاولى (لوح رقم ٢) وعلى ارضية من الزخارف النباتية المتقنة المعموة بالذهب احيط العنوان بشريط من الزخارف الهندسية المجدولة والتى تعترضها ثمان وحدات زخرفية هندسية متشابهة داخل دوائر وفى وضع متناظر ويخرج من جانبى الجامة لســـــان ينتهي بجامة دائرية متكونة من دائرتين تملاء الداخلية منها زخرفة نباتية تحيطها زخرفة نباتية أخرى تملأ الدائرة الثانية وتختلف فى الاسلوب • عملت جميع هذه الزخارف بالذهب ولون المزوق الحروف والوحدات الهندسية الثمانـــي الصغيرة بلون ابيض وابرز جميع هذه الزخارف بتخطيطها بمداد اسوداولا ثم تلوينها بالذهب واللون الابيض • وعرفت هذه الطريقة باسم الواسطي فـــى فنون الكتاب ، حيث استخدمها فى جميع المنمنمات فى هذه النسخة ، ونعنى بذلك تحديد المواضيع بالمداد اولا وبدقة واتقان •

ويشغل الوجه الثانى من الورقة الاولى صورة نشاهد فيها سيدة متربعة على عرش جميل ، تتكلم الى مجموعة من الناس عن يمينها ويسارها وبين يديها لقد تلفت التي عن يسارها • وضع العرش داخل غرفة وهذا واضـــــح مـن صورة الملاكين المجنحين اللذين يشغلان كوشتي العقـــد • والصـورة هنـا محاطة بشريطين الداخل منهما محلى بزخارف نباتية تلتف وتلتوى حول حيوانات وطيور اهلية وبرية وزعت بصورة متناظرة داخــــل هذا الاطار • اما الاطار الخارجى فزخارفه النباتية هي انصاف مراوح نخيلية ومراوح كاملة ثبتت بطريقة فنية ومتقنة (لوح رقم ٣) • من المحتمل ان السيدة هنا هي زوجة الامير او السلطان او الوزير الذى زوق له المخطوط ، فلباس راسها الخاص وثوبهـــــا وتمييزها عن البقية بكبر حجمها والعرش الذى تجلس عليه والملاكان المجنحان كلها علامات امارة وبلاط وتشير الى اهمية الشخصية فى التصويرة • وان هذه التصويرة صورة غرة فلا كتابة فى الصفحة التى تشغلها ولونت خلفية التصوير بلون واحد وتصاوير الغرر فى المخطوطات العربية ، مفردة او مزدوجة ، هـى اما صورة المؤلف او صورة صاحب المخطوطة واحيانا كلهيما • وهذه الصيغة انتقلت الى المخطوطات العربية مع ما عرب من كتب الاغريق او الفرس والتـى كانت غالبا ما تزين غررها بصورة المؤلف او صاحب المخطوطة • ونجد صور الغرر فى المخطوطات او الكتب العلمية والادبية فى عدد من المخطوطات التى تكون منمنماتها المدرسة العربية فى التصوير الاسلامي والشيء المهم فى هذه التصويرة هو صيغتها الفنية ونعنى بذلك الامامية فى صورة السيدة او الاميرة ، وكبـر

حجمها والملكان المجنحان وتوزيع العناصر الاخرى بشـــكل متناظر على جانبى الشخص المهم ، ان هذه الصيغة الفنية قديمة في فنون الشرق الاوسط ودخلت الفن الاسلامى منذ نشوء مدارسه الاولى فى التصوير ومن المحتمل جدا انهـــا تسربت اليه من حضارات وادى الرافدين ٠

اما العنصـــر الثالث المهم هنا هـــو الشريط الزخرفي الدقيق الـــذى تنسجم فيه رسوم الحيوان والطير مع الرسوم النباتية والذى يمثل قمة ما بلغه فن الارابسك فى العالم العربي الاسلامى ٠ ولهذا العنصر جذوره التاريخيـــة كذلك فى الفنون الاسلامية حيث نجد اقدم الامثلة له فى رسوم العصر الاموي الجدارية التى تم الكشف عنها فى قصير عمرة والمشتى وخربة المفجر وقصـــر الحير الغربي ، كما نجدها اكثر تعقيدا وتطورا فى الاشرطة الزخرفية المعمولة على الجص والتى تم الكشف عنها فى قصور سامراء العباسية حيث تلتف وتلتوى الزخارف النباتية ، حول رسوم حيوانات وطيور وحتى رسوم بشرية والشيء الذى نريد ان نقوله هو ان الصيغة الفنية والعناصر فى هذه الصورة وجميـــع التصاوير التي عملها الواسطى وغيره من المزوقين العرب المسلمين لم تؤخـــذ مباشرة عن الفنون الاجنبية فى القرن الســـادس والسابع الهجريين بل هى استمرار وتطور وازدهار الصيغ وعناصر فنية لها جذورها التأريخية في فنون الحضارات العراقية السابقة على الاسلام فى الشرق الاوسط ٠ وان مرحلة التعريب قد تمت منذ العصر الاموى ، ولعب الدين الجديد الدور المهم تعريب مـــــالا يتعارض والمفاهيم الجديدة فى المجتمع الاسلامى ٠ وان منتجات العصر الاموى الفنية تكون وبوضوح مدرسة فنية ، سواء فى التصوير او العمارة او غـيرها من منتجات الفن الاسلامى ، لها من الصفات البارزة مـــا يميزها من مدارس الفنون السابقة على الاسلام ٠ لذلك فان الباحث عن اصول الصيغ والعناصـر الفنية فى المدرسة العربية فى التصوير الاسلامى يجب ان يتتبع ذلك فى فنون العصر الاموى ، والعصرر العباسي والعصر الطولوني والفاطمي ، فمن السهل جدا ان نتبع اى صيغة او عنصر فنى في رسوم مدرسة الواسطى فى منتجات هـذه الفنون ٠ وهذا يدل على سعة اطلاع الواسطى ومعرفته الاساليب والصـــيغ والعناصر التى كانت سائدة فى العالم العربي الاسلامي في عصره ، وقبل عصره وكما سنشاهد ذلك فى عدد من التصاوير عملها ٠

وتقابل الصورة السابقةصورة اخرى مشابهةتشغل الوجه الاولمن الورقةالثانية والشخص الرئيسي هنا امير أو سلطان ،يتكلم كذلك الىجمع منالناس٠(لوح رقم الرئيسي هنا امير أو سلطان ، يتكلم كذلك الى جمع من الناس ٠ (لـوح رقم ٤) ومن المحتمل انه الشخص الذى عمل الواسطي لهالمخطوط، وتحيط برأسالامير هنا هالة وكذلك الاشخاص الذين معه والناس فى التصويرة السابقة ٠ لقـــد دخلت الهالة في الفن الاسلامى منذ العصر الاموى واقدم هالة معروفة لحد الان هى الهالة التى تحيط برأس الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان فى الصورة

التى تزين دنانيره وفلوسه المضروبة سنة ٧٦ هـ وما قبلها وهناك هالة اخرى تحيط برأس الامير الذى بنى له قصير عمره ولعله الوليد بن عبدالملك ٠ والهالة فى الفنون السابقة فى الاسلام موجودة في آثار الحضـــر ولها علاقة بعبادة الشمس والقمر ، كانت ترسم خصوصـــا فى الفن المسيحى حول رؤوس الحواريين والسيد المسيح لتدل على قدسية او مكانة الشخص الدينية التـــى تحيط برأسه وعربت الهالة واستعملت فى المجال الدنيوى لا الدينى فى المجتمع الاسلامى حيث لاتصاوير لرجال الدين والصحابة والفقهاء ، ويظهر ان الهالة فى العصر الاموى كانت تشير الى اهمية الشخص الدنيوية وتميزه عن الآخرين ، ولكن هذه الصيغة لم تستمر ففى العصر الفاطمي صارت الهالة لاتعنى اكثر من عنصر زخرفي ، الغاية منه ابراز الوجه فقط ٠ واكثر من ذلك فقد اصبحت فى القرن الثالث عشر الميلادى تحيط حتى برؤوس الطيور واثمار بعض النباتات خصوصا فى رسوم المدرسة العربية ولم يستعمل الواسطي الهالة بكثرة فقـــد أستعملها لبعض الحكام فى عدد من التصاوير ولبعض الاشخاص فى البعض الاخر ٠

ويرتدى معظم الاشخاص هنا الملابس التركية التى تمتاز باكمامها الضيقة والتصاقها بالجسم بصورة عامة وغطاء الرأس هنا تركى كذلك وهو قلنسوة محاطة بشريط من الفرو وقد اشار الى ذلك الرحالة العربى بن جبير عندمـــا شاهد الخليفة العباسى فى بغداد وهو متستر او متخفى بزى تركى حيث قال : « لابسا ثوبا ابيض شبه القباء برسوم ذهب فيه وعلى رأسه قلنسوة مذهبـــه مطوفه بوبر اسود من الاوبار الغالية القيمة المتخذة للباس مما هو كالفنك واشرف متغمدا بذلك زى الاتراك تعمية لشأنه لكن الشمس لاتخفى وان سترت » (٣٥)

وعلى ضوء طراز الملابس واغطية الرأس وشكل العرش الذى يجلس عليه الشخص الرئيسى يظهر ان صاحب المخطوطة هو امير من امراء البلاط العباسي والذين كانوا فى خدمة الخليفة العباسي المستنصر بالله ٠

وأستطاع الواسطي ان يصور الرسوم الحيوانية التى تشغل الفراغـــات والناتجة من التواء وتشابك الزخارف النباتية بدقة ويرتبهابوضعية تلائم طبيعة الفراغ ولكن لم يؤثر ذلك على اوصافها فاننا نستطيع ان نفرقها ، والحيوانات المرسومة هنا هى النمر والثعلب ، وكلب الصيد ، والارنب والغزال ، والصقر ومن المحتمل ان هذه الحيوانات تشير الى هواية من هوايات الامير الذى عمل له المخطوط الا وهى هواية الصيد والقنص ٠

رسوم اللهو والفرح

وتعتبر التصاوير التي رسمها يحيى بن محمود الواسطي وثائق تاريخية مهمة تلقى الضوء على كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية في الفترة الزمنية التي

٣٥ـ ابن جبير ـ الرحلة ـ ص ٢١٩

عاش فيها • والحقيقة ان هذه التصاوير ترجمة دقيقة للنص الذى توضحه • ولما كان النص غنى في وصفه للواقع جاءت التصاوير مراة صافيه لذلك الواقع • ومن مشاهدة التصاوير استطعنا ان نتعرف على شكل الاشياءالتي وصفها الحريرى بكلمات ، مثل انواع الملابس والاواني والادوات والعمائر وغيرها وقدرنا كذلك ان نشاهد كيف كان الناس يقضون اوقات فراغهم في الافراح ، فهذه مجموعة من التصاوير ترينا افراح الناس • ويظهر ان شرب الخمر والاستماع الى الموسيقى والغناء والتنزه في البساتين هى المجالات التي كان الانسان العربى خلال النصف الاول من القرن (السابع الهجرى) الثالث عشر الميلادى يتمتع بها ويقظي بها اطيب اوقاته •

اختار يحيى بن محمود الواسطي وصف حانة في مدينة عانة ، اتخذها السروجي ملجأ لقضاء وقت ممتع بعد ان تظاهر بالنسك والتعبد والعلم وقاد القافلة من دمشق الى العراق وبعد ان حصل من المال ما يكفيه للظهور بمظهر التاجر المبذر ، ووضحها بتصويرة استطاع الواسطي ان يترجم وصف الحانةوالجو المرح فيها بدقة واتقا ن وعلى الرغم من صغرالمساحة المخصصةللمنمنمةاظهرتفاصيل الاشياء التي بداخل الحانة • ففيها معصرة ، وفيها دنان ، ومغن وسقاة •• الخ (لوح رقم ٥) • وتوضيحا لذلك ننقل العبارات التي وضحتها هذه التصويرة الدقيقة •

قال الحارث : فاولجت الى الدسكرة ، في هيئة منكرة ، فاذا الشيخ في حلةممصرة ، بين دنان ومعصرة ، وحوله شفاة تبهر ، وشموع تزهر ، وآس عبهر ، ومزمار ومزهر ، وهو تارة يستبزل الدنان ، وطورا يستنطق العيدان ، ودفعة يستنشق الريحان ، واخرى يغازل الغزلان ، فلما عثرت على لبسه ، وتفاوت يومه من امسه ، قلت له اولى لك ياملعون ، انسيت يوم جيرون ، فضحك مستغربا ، ثم انشد مطربا :

لزمت السفار وجبت القفار وعفت النفار لاجني الفرح
ومطت الوقار وبعت العقار لحسو العقار ورشف القدح

ظهر السروجي هنا على كرسي او عرش يخصص في اكثر المنمنمات هنا لحاكم او والي وقد امسك القدح بيد والمنديل بيد اخرى ، وقد انفرجت اساريره • وقد عبر الواسطي عما قاله السروجي للحارث الذى وقف يعاتب السروجي بجد ، واستطاع الرسام ان يجمع بين المعصرة والدنان والموسيقار والسقاة في الطابق الارضي من الحانة ، اما الطابق الاول فنشاهد فيه رجلين يشربان ومجموعة من الدنان وساقي • واهم الاشياء هنا شكل المعصرة حيث وقف فتى يدوس بقدميه على المادة التى يستخرج منها الشراب • التصويرة معبرة جدا وواقعية الى حد بعيد وهاتان الصفتان اى التعبيرية والواقعية مهمتان وبارزتان في تصاوير الواسطي • وهو بحق ابرز مصورى المدرسة العربية في هذا المجال •

ظهرت الحانة ، أو بناء الحانة ، خصوصا جدارنها ، وكانها أطر خشبية تحيط بالرسوم وتفصل المناظر بعضها عن البعض الاخر • أن أسلوب المدرسة العربية هو اسلوب مسطح اي ان الرسوم فيه بصورة عامة ، تظهر ببعدين فقط طول وعرض وليس للبعد الثالث او العمق او التجسيم دور مهم هنا • وهذا لايعني عدم براعة المزوق العربي المسلم بل ان الاسلوب الشائع أنذاك هو هذا الاسلوب ، وهو صفة مهمة من صفات المدرسة العربية في التصوير الاسلامي • والشيء المهم في هذه الصورة واغلب التصاوير التي تعبر عن داخل بناء ترسم داخل الغرف فيها بهذه الطريقة حيث تظهر وكانها مقصوصة وهذه ايضا صفة من صفات المدرسية المعنية • ولكن الواسطي زين جوانب العقود بزخارف نباتية دقيقة واظهر القباب التي تكون سطح الحانة •

وفي صورة اخرى ينقل لنا الواسطي التلذذ بمباهج الحياة حيث يجتمع عدد من الاصدقاء في بستان من بساتين محلة القطيعية في بغداد وهناك الماء والخضراء والصوت الحسن • ولكن المجتمعين يفاجئون بطفيلي عجوز وينقلب الفرح والسرور الى كآبة تزول بسرعة بعد ان سلم القادم سلام المتعلمين (لوح ٦) • وجاءت هذه الصورة الاخاذة لتشرح عبارات من المقامة ٢٤ القطيعية

حيث يتعرف الحارث على مجموعة من الشبان كانهم الشموس ويتفقون لقضاء وقت جميل في بستان من بساتين المحلة قال الحارث ، فاجمعنا في يوم سما دجنه ،ونما حسنه وحكم بالاصطباح ، حزنه ، على ان نلتهي بالخروج الى بعض المروج ، لنسرح النواظر ، في الرياض النواظر ، ونصقل الخواطر بشيم المواطر ، فبرزنا ونحن كالشهور عدة ، وكندمائي جذيمة مودة ، الى حديقة اخذت زخرفها وزينت ، وتنوعت ازاهيرها وتلونت ، ومعنا الكميت الشموس ، والسقاة الشموس ، والشادي الذى يطرب السامع ويلهيه ، ويقرى كل سمع ما يشتهيه ، فلما اطمأن بنا الجلوس ، ودارت علينا الكوس ،وغل علينا ذمر ، عليه طمر ، فتجهمناه تجهم الغيد الشيب ، ووجدنا صفو يومنا قد شيب ، الا انه سلم تسليم اولى الفهم •• الخ •

تقيد الواسطي في تحويل الكلام الى صوره بما جاء فيه من حيث عدد الاشخاص واظهر الكاس والعود والشادى والذمر الذى عليه طمر • واجاد اجادة تامة في توزيع عناصر الصورة وعبر عن الدهشة والاشمئزاز الذى اصاب القوم عندما تطفل عليهم الكهل • واظهر بالاضافة الى ذلك من يشرف على ادارة ناعورة خلف حائط يفصله عن المحتفلين وينفذ من خلال الحائط فتحة الساقية التي تصب الماء في حوض بين المجتمعين وظهر الماء هنا وكانه ديدان مجتمعة • وهذه طريقة خاصة في تصوير الماء ، وهي صفة من صفات تصاوير المدرسة العربية • ونشر المزوق النباتات المزهرة هنا وهناك وجعل تصويرته لوحة فنية تنقل لنا تمتع القوم بجمال بساتينهم في بغداد وهي عادة مازالت موجودة الى الوقت الحاضر • ونشاهد في هذه الصورة شكل الة من الات السقي او رفع

المساء ·

وينقل الواسطي في تصويرة اخرى تناقضات المجتمع حيث يرينا منظر شرب خمر في بيت خطيب جامع سمرقند ، (لوح ٧) · روى الحارث انه سافر الى سمرقند وحضر صلاة الجمعة فيها فانبهر بخطبة خطيب جامعها ولما تفحصه جيدا وجده السروجي صاحبه ، فسلم عليه وطلب منه مصاحبته الى بيته قال الحارث : ثم استصحبني الى داره واودعني اسراره ، وحين انتشر جناح الظلام وحان ميقات المنام احضر اباريق المدام ، معكومة بالغدام ، فقلت اتحسوها امام النوم وانت امام القوم ، فقال صه انا بالنهار خطيب ،وفي الليل اطيب فقلت والله ما ادرى أأعجب من تسليك عن اناسك ، ومسقط رأسك ، أم من خطابتك مع ادناسك ، ومدار كاسك ·· الخ ·

اظهر الواسطي في تصويرته هذه اباريق المدام وشكلها يطابق اشكال الاواني والاباريق التي وصلت الينا من القرن الثالث عشر الميلادى ومن بلادما بين النهرين ، واظهر الواسطي المنظر وكانه يقع خارج جدران غرفة · وهذه طريقة معروفة في رسوم المدرسة العربية ، فهناك كثير من التصاوير التي تشير الى المحيط الذى وقعت فيه الحادثة ولكن المزوق يهمل رسم الغرفة كما فعل الواسطي في هذه الصورة وفي عدد من تصاويره الاخرى · وما اجمل الزخرفة الهندسية التي تزين البساط هنا · وظهر الحارث وابا زيد وهما يتجادلان بجد على الرغم من ان المجلس مجلس شراب ·

ولم يكن احتساء الخمر الوسيلة الوحيدة التي تظهر اغتباط الناس · فهناك الاحتفالات بالمناسبات التى تشمل كل الناس مثل تنصيب خليفة جديد او الاحتفال بانتصار يحققه الجيش الاسلامي فتقرع الطبول وتشهر السيوف وتنثر الدنانير والدراهم · ويحتفل المسلمون بعيد الفطر المبارك وتكون مشاهدة هلال شهر شوال مدعاة للفرح والمسرة حيث ينتهي شهر الصيام · وبهذه المناسبة تقرع الطبول وينفخ في الابواق وترفع البيارق اعلانا عن انتهاء شهر الصوم ، ورسم لنا الواسطي صورة منظر الاحتفال بنهاية شهر رمضان في منمنمة (لوح ٨) توضح نصوصا من المقامة السابعة ، البرقعيدية ، حيث كان الحارث في تلك المدينة وشهد احتفالا بمناسبة رؤية الهلال الجديد ·

قال الحارث : ازمعت الشخوص من برقعيد ، وقد شمت برقة عيد ، فكرهت الرحلة من تلك المدينة ، او اشهد بها يوم الزينة ، فلما اظل بفرضه ونقله ، واجلب بخيله ورجله ، اتبعت السنة في لبس الجديد ، وبرزت مع من برز للتعييد ·· الخ

رتب الواسطي في تصويرته هذه الخيول بطريقة حيث اظهر جميع ارجلها بالرغم من عرضها بطريقة جانبية · كما نجح في رسم البيارق باشكالها المختلفة واعتنى بدقة الكتابات بالخط الكوفي عليها وتقرأ جميع هذه الكتابات ومنها (قل هو الله احد الله الصمد) ، (لا اله الا الله محمد) ، وغيرها ·

رسوم مجالس القضاة والولاة

وقد اعتنى الواسطي عنايـة خاصة في تصـــوير مجالســـس الولاة والقضاة ورسمها ، فرسم اربع عشرة منمنمة لها ، تمتد اثنتان منها على صفحتين كاملتين من صفحات المخطوطة • ونرى فيها ابا زيد السروجي متظلما اما مـــن الفقر او منزوجته او ابنة او رجل اتهمه بتهمة ويحاول ان يأخذ حقه منه امام السلطة القضائية • وفي واحدة من هذه المنمنمات يظهر ابو زيد كقاضي يقوم بعقد قران شحاذ على شحاذة • ويكشف السروجي هنا بعد ان يحصل على المطلب وهو في اكثر الاحيان مكافئة نقدية ، يحصل عليها بعد ان يبهر صاحب المسند بقوة عبارته وجودة تمثيله • يكشفه الحارث بن همام الذى يظهر في جميع هذه المنمنمات والتي تقع حوادثها فى دواوين الدولة • وتكمن روعة المنمنمات فـــي واقعيتهـــا ، فيظهر الواســـطي القاضي مميزا دائما بغطاء رأسه ، الدنية وهي قلنسوة طويلة يلبسها القضاة ، ومسنده اى تخته الذى يجلس عليه • اما الوالي فانه يظهر دائما ومعه من الحرس والاتباع ما يبرز شخصيته وله غطـاء رأس خاص هو الغطاء التركي الذى يتألف من قلنسوة يدور على حافتها السفلى شريط من الفرو ثم يميز الوالي كذلك بعرشه او تخته حيث تكون له مسنـدة واسعة مزخرفة •

وجميع هذه المنمنمات ، ما عدا ثلاثا منها ، رسمت وبدون عناصر معمارية او بناء يضم الرسوم الادمية ، هذا على الرغم من ان الحوادث تقع داخل مجالس وهذه طريقة متبعة فى رسوم المدرسة العربية كما ذكرنا سابقا وصفة من صفاتها •

ومن المقامة (٣٠) الصورية ، اختار الواسطى العبارات التي تتحدث عــن قيام السروجي بعقد قران شحاذ على شحاذة ، حيث يروى الحارث انه عندمـا وصل من صور الى مصر اقام فيها وذات يوم شاهد مجموعة من الفرسان فسار معهم الى ان دخلوا في دار فولج هو فيه ايضا فوقع نظره على ارائك منقوشة ، وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة ، وسجوف مرصوفة ، وقد اقبل الملـــك يميس في بردته ، ويتبهنس بين حفدته ، فحين جلس كأنه ابن ماء السمـاء ، نادى مناد قبل الاحماء ، وحرمة ساسان استاذ الاستاذين ، وقدوة الشحاذين لاعقد هذا العقد المبجل ، في هذا اليوم الاغر المجمل ، الا الذى جال وجـــاب وشب في الكدية وشاب ، فاعجب رهط الصهر ما اشاروا اليه ، واذنوا فـــي

احضار المنصوص عليه ، فبرز حينئذ شيخ قد امال الملوان قامته ونور الفتيان ثفامته ، فتباشرت الجماعة باقباله ، وتبادرت الى استقباله ، فلما جلس علـى زربيته ، وسكنت الضوضاء لهيبته ، ازدلف الى مسنده ، ومسح سلبتـــه بيده ٠٠٠٠ الخ

تمتد هذه التصويرة على صفحتين (لوح ٩) ،واظهر الواسطي هنا المدعوين في غرفتين متجاورتين يشغل الاولى منهما السروجي وقد جلس جلسة الامـراء واحيط رأسه بهالة وظهر الشبان على جانبيه ٠ وقد اصاب التلف الوان ملابس عدد من الاشخاص ووجوههم فاعيد صبغها في وقت متأخر وبيد غير ماهرة مما شوه المنمنمة ٠ اما جدران الدار من الداخل فرسمت بالطريقة التقليديـــة الشائعه في رسوم المدرسة العربية ٠ حاول الواسطي هنا ان يزيل بعض الجمود في العنصر المعماري فزين الكوشات بزخارف نباتيـــة والسطوح او حافتهـــا الاماميـــة برسوم هندسية ونباتية ٠

والمنمنمة او التصويرة الثانية التي تحوى على رسم الغرفة تلك التي يظهر فيها ابو زيد لسروجي يشكو من ابنه امام قاضي صعده (لوح ١٠) ٠ ورسمت هذه التصويرة لتوضيح مشهدا من مشاهد المقامة ٣٧ الصعديـــة ، روى الحارث انه شد الرحال الى صعدة وصادق قاضيها وكان يحضر مجلسه ويشهد مشاجر الخصوم ٠ قال : وفي ذات يوم ، بينما القاضي جالس للاسجال ، فـي يوم المحفل والاحتفال ، اذ دخل شيخ بالي الرياش ، بادىء الارتعاش ، فتبصر الحفل تبصر نقاد ، ثم زعم ان له خصما غير منقاد ، فلم يكن الا كضـــؤ شرارة ، او اوحى اشارة ، حتى احضر غلام كانه ضرغام ، فقال الشيخ ايد الله القاضي ، وعصمه من التقاضي ، ان ابني هذا كالقلم الردىء ، والسيـــف الصدى ، يجهل اوصاف الانصاف ، ويرضع اخلاق الخلاف ، ان اقدمت احجـم واذا اعربت اعجم ، واذا اذكيت اخمد ، ومتى شويت رمد ، مع انى كفلته مذ دب ، الى ان شب ، وكنت له الطف من ربى ورب ٠٠ الخ ٠

جعل الواسطى القاضي على مسند يميزه غطأ رأسه ، وظهر وهو يلوم الابن على فعلته وعدم طاعته لوالده ، اندهش الشاب وانهز الجلاس ٠ المنمنمة معبرة للغاية وفي حالة جيدة من الحفظ ٠ لقد اراد الواسطي ان يظهر الديـــوان او المجلس بالابهة اللائقة بقاضي صعدة فزين الستائر والوسائد والبسط بزخارف جميلة ، وافلح في نقل الجو النفسى حيث الانفعالات المختلفة بادية على الوجوه وتحرك الاكف ٠ وللواسطي طريقة خاصة في رسم الوجوه فاغلبها بملامـــح عربية وملتحية وغالبا ما يخط الانف بلون ابيض وتبرز العيون وخصوصـــا اهدابها وتظهر الوجوه في هذه التصويرة اما بوضع جانبى او بنسبة ثلاثة ارباع وفى عدد من المنمنمات تصور الوجوه بوضعية امامية ٠

وفى منمنمة اخرى (لوح ١١) نرى السروجى وابنه والحارث في مجلس قاضي زبيد ٠ وهذه التصويرة توضح جملا من المقامة ٣٤ ، الزبيدية حيث باع السروجي ابنه في سوق العبيد واشتراه منه الحارث ولكن البيع كان مشروطا

وبلعبة ادبية تضمن عدم جواز بيع الحر ، تقاضي الحارث وابو زيد امام قاضي زبيد فربح السروجي القضية وانتهت المحكمة بقول القاضي : الا ان من انــذر فقد اعذر ، ومن ضرر ، كمن بشر ، ومن بصر في قصر وان فيما شرحتماه لدليلا على ان هذا الغلام قد نبهك ، فما ارعويت ، ونصح لك فما دعيت ، فاستـرداء بلهك واكتمه ، ولم نفسك ولا تلمه ، وحذار من اعتلاته ، والطمع في استرقاقه.

جلس الحارث في هذه التصويرة الجميلة على كرسي الى يسار القاضي ووقف الغلام وابوه الى الجانب الاخر • اما القاضي فظهر يقدم نصيحته • اما مسنـد القاضي فجميل ومزين بادق الزخارف النباتية • وجعل الواسطي رأس القاضي محاطا بهالة وهي قلما تستعمل في منمنمات الواسطي ويظهر ان الزخارف التـي كانت تغطي ثوب السروجي قد نفضت الوانها •

وهناك تصويرتان جميلتان احداهما ترى السروجي وثلاث نساء امــام قاضي تبريز (لوح ١٢) ، وهي توضح مشهدا من مشاهد المقامـــة (٤٠) ، التبريزيه ، شكى السروجي من عدم طاعة زوجته له ثم تنقلب الشكوى عليـه وبلباقه استطاع القاضي ان يتوصل الى سر هذه الشتائم الفضيعة التى تبادل بها الخصمان امامه • فاكرهما بيدنارين ويظهر فى هذه التصويرة بالاضافـة الى زوجة ابي زيد امرأتان والحارث والنساء قليلات في منمنمات الواسطي حيث يبلغ عددهن حوالى الاربعين وهي نسبة قليلة اذا ما قورنت بعدد الرجال الذى يربو على الالف • ونستطيع من خلال صور النساء في جميع هذه المنمنمـات التعرف على ازيائهن والاعمال التي كن يقمن فيها •

أما التصويرة الثانية (لوح ١٣) ، فتنقل اعتذار السروجي امام قاضـــي المعرة • وتوضح هذه المنمنمة مشهدا من مشاهد المقامة الثامنة ، المعرية ، التي يروى الحارث فيها انه كان شاهد عيان لقضية شكوى شيخ على غلام وادعائــه بانه قتل ابنه وبعد ان حصل السروجي على ما يريد شك القاضي في امرهمــا وطلبهما وقال لهما :

اصدقاني سن بكركما ، ولكما الامان من تبعة مكركما ، فاحجم الحـدث واستقال ، واقدم الشيخ وقال :

انا السروجي وهذا ولـــدى والشبل في المخبر مثل الاسد

وهنا اتكأ الوالى الى نمرقه جميلة وجلس على بساط مزخرف • ووقـــف بين يديه الحارث والسروجي وابنه • وقد اعيد تخطيط بعض وجه الشـــاب وجعلت له لحية شوهت وجهه • نقل لنا الواسطي طراز ملابس القوم فهـــي عريضة واكمامها واسعة وكانت السراويل شائعة وغالبا ما تزين الاثـــواب بالمعاضد • وهناك انواع مختلفة من الملابس وقد استطعنا ان نعرف اشكالها عن طريق هذه التصاوير •

ويميز الوالي من القاضي في الرسوم التي انتجها الواسطي بعلامات هي غطاء رأسه ،وهي القلنسوة التركية ، وثوبه الذى تكون اكمامه غيرواسعة ومفتوح من الوسط في القسم العلوي منه والثوب غير عريض ،ثم عرشه التركي الطراز والاصل.

وسلاحه ، الرمح والسيف ، والمرافقين او الحراس ، ثم كبر حجمه أذا ماقورن ببقية الاشخاص في التصويرة ، بالاضافة الى ذلك حذاءه الطويل الذى يصعد احيانا الى ركبته · هذه الصفات تظهر في عدد من منمنمات الواسطي و منهـــا صورة الغرة التي تمثل صاحب المخطوطة · وهناك خمس منمنمات اخرى · وهذه واحدة منها (لوح رقم ١٤) حيث نشاهد السروجي يشكو من الفقر امــام والي مرو ، وتوضح هذهالمنمنمة مقطعا من المقامة ٣٨ المروية · تربع الوالى على تخت ضخم وامسك برمح بيده اليمنى واحاط مسنده اثنان من الحراس أما ابو زيد فوقف امامه يشكو من مصائب الدنيا وكوارثها ، والحارث اخذ مكانه في الجانب الايسر من المكان · استطاع الواسطي ان يعبر عن الحزن او الالـم الذى اصاب القوم عندما سمعوا كلام السروجي · ومن الامور المهمة في هذه المنمنمة صيغتها الفنية حيث نشاهد تناظر في توزيع العناصر و الرسوم حول مركز يمثله الوالى هنا الذى ظهر بحجم اكبر من البقية ·

والصورة الثانية التى نشاهد فيها واليا هي تلك التي رسمت لتنقـــل مشهدا من مشاهد المقامة ١٠ الرحبية (لوح ١٥) · وهنا نشاهد السروجــــي يشكو امام والى الرحبة الذى عرف عنه انه يفضل حب البنين على البنات ، ويحاول السروجي ان يستغل شذوذ الوالى فيوصف غريمه باوصاف متقنة ويطلب منــــه ان يحلف يمينا كله تجسيد لاوصافه · ولم نر الحارث في التصويرة · ومــع الوالى ظهر حارسه وامسك الوالى هنا برمح وتخته بطراز تركي وملابسه كذلك ابرز الواسطي محاسن الغلام واندهاش الوالى لتلك المحاسن ·

رسوم العمائر

اعتنى الواسطي كذلك عناية كبيرة برسوم العمائر · ويمكن القــول ان تصف منمنماته تحتوى على رسوم منها · وقد اتبع طريقتين في هذه الرسوم هي ، اظهار جدران الغرف او الدور وكأنها اطر خشبية تحيط بالرسوم الادمية وتفصلها عن النص وتعطى الانطباع ان الحادثة قد وقعت داخل دار · وحاول الواسطي ان يعطي مثل هذا النوع من رسوم العمائر نوع من التمييز عن الاطر فزين كوشات القعود بزخارف دقيقة اوالجزء الظاهر من الســــطح · والنوع الاخر والمهم من العمائر في هذه المنمنمات هو ، عندما يظهر الواسطي واجهات تلك العمائر فهو يبذل مجهودا كبيرا في اظهارها بشكلها الواقعي · فهــــو واقعي في رسم الاقواس واظهار نوع المادة البنائية ، واهم ما يلفت النظـــر الزخارف الدقيقة ، الخطية ، والهندسية والنباتية ، التي تزين واجهات تلك العمائر والتي تعكس وبصدق سمة الفن الاسلامي ، الذى سمى بالفن الزخرفي

حيث كان للفنان العربي المسلم الفضل الاكبر في استعمال الخط او الكتابة كنعصر زخرفي وله اليد الطولى في تطوير الزخارف الهندسية والنباتيـــة والمزج بينها وبين الزخارف الخطية واحيانا يدخل معها الرسوم الادمية وصور الحيوانات والطيور فيجعل منها لوحة معقدة تبهر المشاهد في دقة التنفيـــذ والمزج والتركيب • ودعى هذا النوع من الفن باسم الفنان العربي الـــذى ابتكره وجعل منه الصفة المميزة للفن الاسلامي • وهناك تنوع في العناصـــر المعمارية في منمنمات الواسطي فنستطيع على الاقل تشخيص اربعة انواع من الاقواس هي النصف دائرى والمدبب المنفوخ والمفصص والمدني ، كما يمكن ان نتعرف على نوع خاص من الماذن ساد في بلاد ما بين النهرين في تلـــك الفترة • وهذا النوع هو الماذن الاسطوانية ذات الشرفة الواحدة والمزيـــن جزء من بدنها بكتابات كوفية • وهناك من الماذن من هذا النوع قائمة فـــي بغـداد الان وتتشابه مع مارسمه الواسطي في منمنماتـه • ونشاهد في هـذه العمائر انواع المحاريب والمنابر والقناديل التي كانت مستعملة في ذلك العصر • ويمتد هذا التنوع الى اشكال العمائر اى الاغراض التي بنيت من اجلها فنجد المساجد من الداخل والخارج ، والقصور والمدارس والمكتبات ، وبيوت العامة والاسواق ، ودواوين الدولة وغيرها • واهم شيء في هذه العمائر ومكملاتهـا انها تكون وثيقتنا الاولى في نسبة هذه الرسوم الى بغداد حيث هناك اكثر من مظهر يشير الى ان صفات هذه العمائر هي صفات العمارة الاسلامية في بغداد في تلك الفترة المشرقة من تاريخ العرب المسلمين •

ومن اجمل الرسوم المعمارية في هذه المنمنمات تلك (لوح ١٦) التي جاءت لتوضح جملا من المقامة (٥٠) ، البصرية ، حيث اتخذ السروجي جامعا مـــن جوامع البصرة ليعظ الناس فيه • قال الحارث يصف جامع البصرة و:كـــان اذ ذاك مأهول المساند ، مشفوه الموارد ، يجتني من رياضه ازاهير الكـــلام ، ويسمع في ارجائه صرير الاقلام ، فانطلقت اليه غير وان ،ولا لاو على شـأن ، ،فلما وطئت حصاه ، واستشرفت اقصاه ،تراى لى ذو اطمار باليه ، فـــوق صخرة عالية ، وقد عصبت به عصب لا يحصى عديدهم ولا ينادى وليدهـــم •• الخ •

اختار الواسطي العبارة الاخيرة من هذا الكلام حيث اظهر السروجي فوق صخرة ، (تلف وجه السروجي واعيد تخطيطه فلم يستطيع المصلح ان يعيـد الوجه الاصلي حيث اظهر السروجي وكان شاب) يتكلم الى جمع من الناســـس امامه جلسوا بين اعمدة المسجد قرب المنبر والمحراب • زين الواسطي واجهة جامع البصرة بزخارف مركبة هندسية ونباتية وجعل منها وكأنها شرفـة او سياج لسطح المسجد وتحت هذه الزخرفة شريط كتابي بخط دقيق وعلى ارضية من الزخارف النباتية وتقرأ الكتابة هنا آدم اللهم ايام سيدنا ومولانا الامـــام

المستنصر بالله امير المؤمنين خلد الله ملكه • وهذه الكتابة مهمة حيث لها ما يناظرها على جدار المدرسة المستنصرية المطل على نهر دجلة • كما ان وجود اسم الخليفة يشير الى أن صاحب المخطوطة كان في خدمة الخليفة المستنصر بالله ولابد انه كان في بغداد • ان هذه الكتابة هي التي اعتمد، عليها معظم من كتبوا عن منمنمات الواسطي في نسبة المخطوطة الى بغداد •

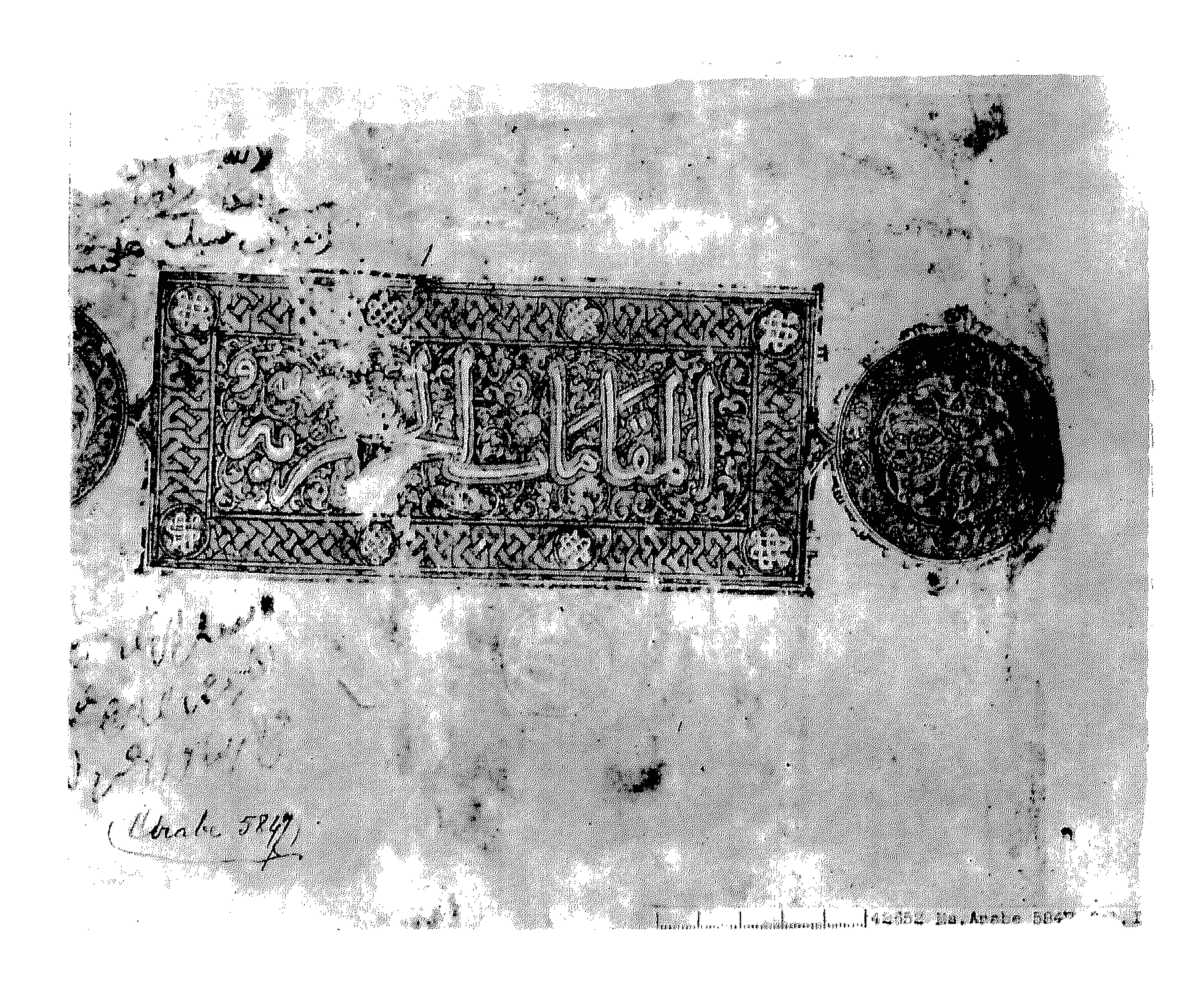
واظهر الواسطي هنا مئذنة اسطوانية ذات شرفة واحدة ترتكز على مقرنصات • ويحدها من الاسفل شريط بالخط الكوفي المورق ، يقرأ محمد رسول الله وجعل على ارضية من زخرفة حصيرية • وابرز الواسطي حتى النافذة في بدن المئذنة التي تدخل النور الى درج المئذنة • وارتكزت اقواس هذا الرواق من المسجد على اعمدة وشكل القوس هنا نصف دائرى •

وفي منمنمة اخرى (لوح ١٧) انتحل السروجي صفة الخطيب ، وخطب خطبة مشهورة في جامع سمرقند ، حيث كان الحارث هناك ، كما يروى في المقامة ٢٨ ، السمرقندية • قال الحارث : لما رايت الخطبة نخبة بلا سقط ، وعروسا بغير نقط ، دعاني الاعجاب بنمطها العجيب ، الى استجلاء وجه الخطيب ، فاخذت اتوسمه جدا ، واقلب الطرف فيه مجدا ، الى ان وضح لي بصدق العلامات ، انه شيخنا صاحب المقامات •

وقف السروجي على المنبر مرتديا طليسانا وماسكا سيفا ويوجه الكلام الى جمع من المصلين الذين يصغون باعجاب اليه • ان الصيغة الفنية ، المتالفة من شخص يحتل جانب التصويرة ، جالسا او واقفا ، يخاطب جمعا وقفوا او جلسوا امامه ، شائعة جدا في منمنمات المدرسة العربية • ونراها عشرات المرات في رسوم الواسطي • وهي مع ذلك تمثل واقعيه حقيقة تتكررفي اكثر من مكان في المجتمع •

ويظهر ان السيف هو علامة الخطيب في جامع الجمعة وكذلك طليسانه الاسود حيث يتكرر ذلك فى منمنمات اخرى • زين الواسطي هنا المنبر والمحراب وكوشات القعود وتيجان الاعمدة بزخارف نباتية وهندسية دقيقة • وجعل ثلاثة قناديل تتدلى في اروقة الجامع • ان شكل القنديل المصور هنا يتطابق تماما مع شكل القناديل التى وصلت الينا من تلك الفترة • وجعل الواسطي النوافذ في كوشات القعود بقوس مدبب منفوخ كما رمز الى نوع البناء بالمنبر والمحراب •

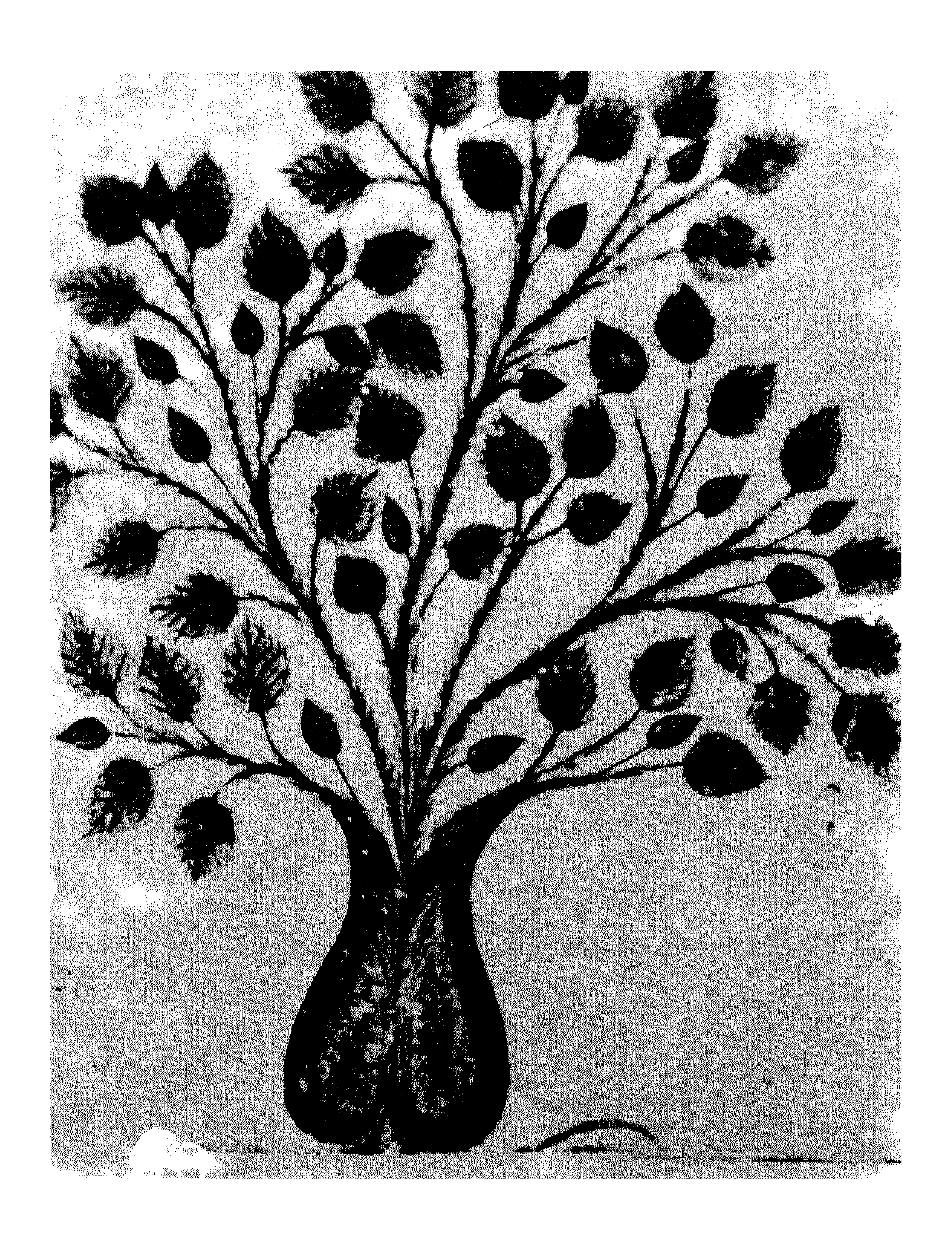
وفي رسوم المباني الدينية ، وعندما لم يتسع الفراغ المخصص للتصويرة لرسم اجزاء كبيرة من البناية ، يرمز الواسطي الى نوع البناية باكثر من عنصر يشير الى ذلك • ففي دواوين الدولة وعندما لم يرسم الواسطي الدار بكاملها او واجهتها يكتفي بتخت الوالى او السلطان وحرسه وكذلك بالنسبة للقاضي • اما بالنسبة للمساجد فاتخذ المحراب والمنبر ليشير بهما الى هوية البناية وهذا واضح في منمنمة (لوح ١٨) توضح مقاطع من المقامه (٧) ، البرقعيديه حيث كان



لوح ٢ ،عنوان المخطوط ، الورقة الاولى ، الوجه الاول .



لوح رقم ١ ، عبدالجبار علي النقاش ، مكتوب على ساقي نباتين في نسخه من كتاب الحشائش لديوسقوريدس مؤرخه ٦٢٦ هـ ١٢٢٩ م وتنسب الى القاهره ومحفوظه الآن في مكتبه متحف طوبا في سراي رقم ٢١٢٧ أحمد الثالث





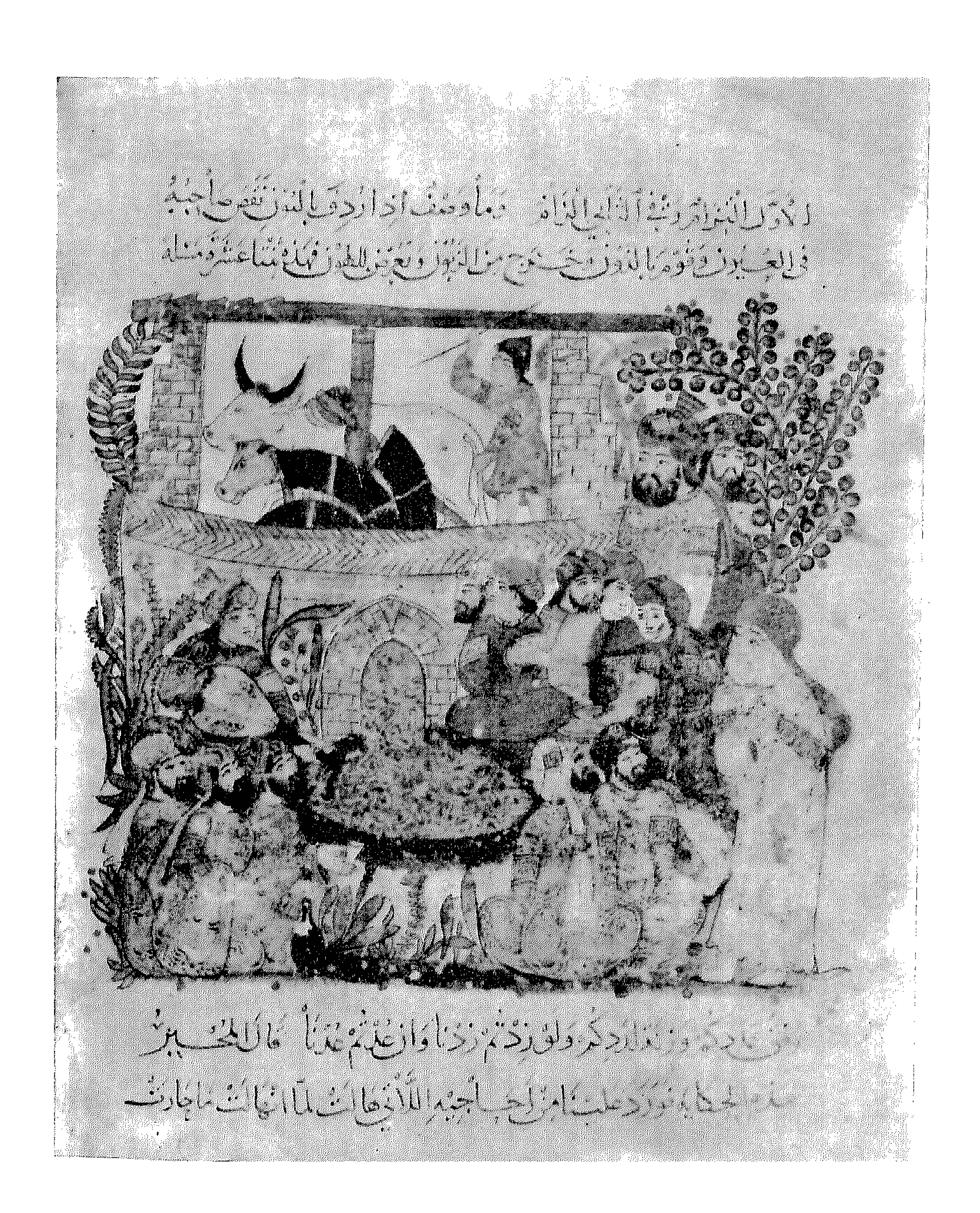
لوح ٣ ، صوره العزه ، سيده تجلس على عرش يحتمل انها زوجة صاحب المخطوط الورقة١
الوجه الثاني .



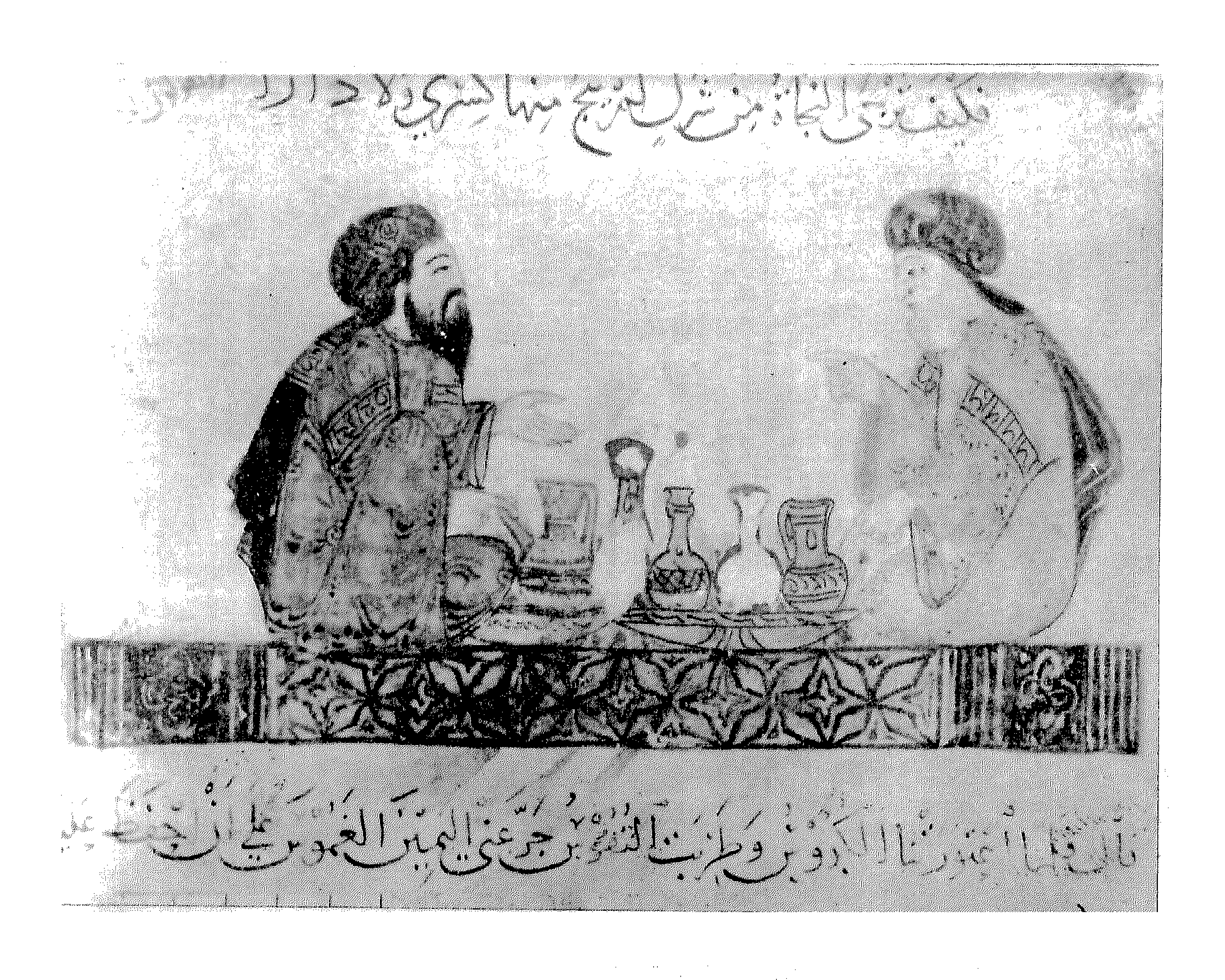
لوح رقم ٤ صورة العزه ، امير يجلس على العرش ، يحتمل انه صاحب المخطوطة ، الورقة ٢ الوجه الاول .



لوح ٥ الحارث بن همام يجد ابا زيد في حانه المقامه ١٣ الدمشقيه ، الورقه ٣٣ ، الوجه الاول (٢١٥ مم × ٢٠٠ مم) .



لوح ٦ ، السروجي يضايق جماعه من الناس يحتفلون في بستان ، المقامه ٢٤ ، القطيعيه، الورقه ٦٩ الوجه الثاني (٢٣٠ مم × ٢١٧ مم) .



لوح ٧ الحارث وابو زيد يشربان الخمر في دار ابي زيد ، المقامه ٢٨ ، السمرقنديه ، الورقه ٨٦ الوجه الأول ٢١٠ مم × ١١٠ مم)



لوح ٨ الابتهاج برؤية هلال شوال ، المقامه السابعه البرقعيديه، الورقه ١٩ الوجه الاول (٢٤٣مم×٢٦١ مم).



لوح رقم ٩ ، ابوزيد يقوم بعقد قران شحاذ على شحاذه ، المقامه ٣٠ ، الصورية ، الورقه ٩١-٩٢ الوجه الثاني من ٩١ والوجه الاول من ٩٢ ، التصويره تمتد على صفحتين متقابلتين .



وخفض جناحه للمسكين وفرض الحقوق في اموال المثرين وما يجب للمقلين على الذين

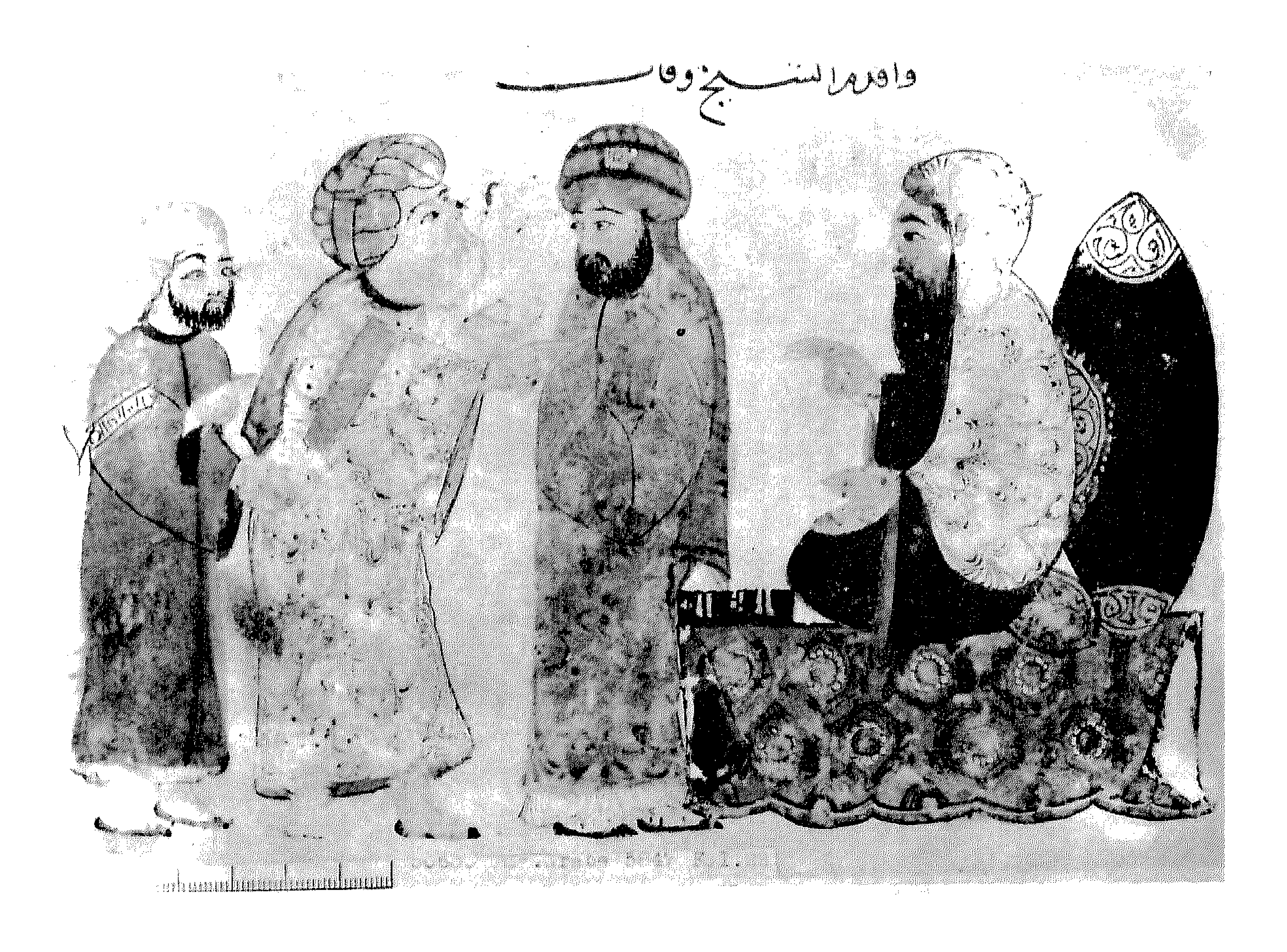
صلى الله عليه صلاة تحظيه بالزلفة وعلى اصحابه اهل الصفة اما بعد فان الله تعالى شرع النكاح



لوح ١٠ ، ابو زيد يشكو ابنه امام قاضي صعده ، المقامه ٣٧ ، الصعيديه : الورقه ١١٤ الوجه الثاني (٢١٥ مم × ١٩٠ مم) .



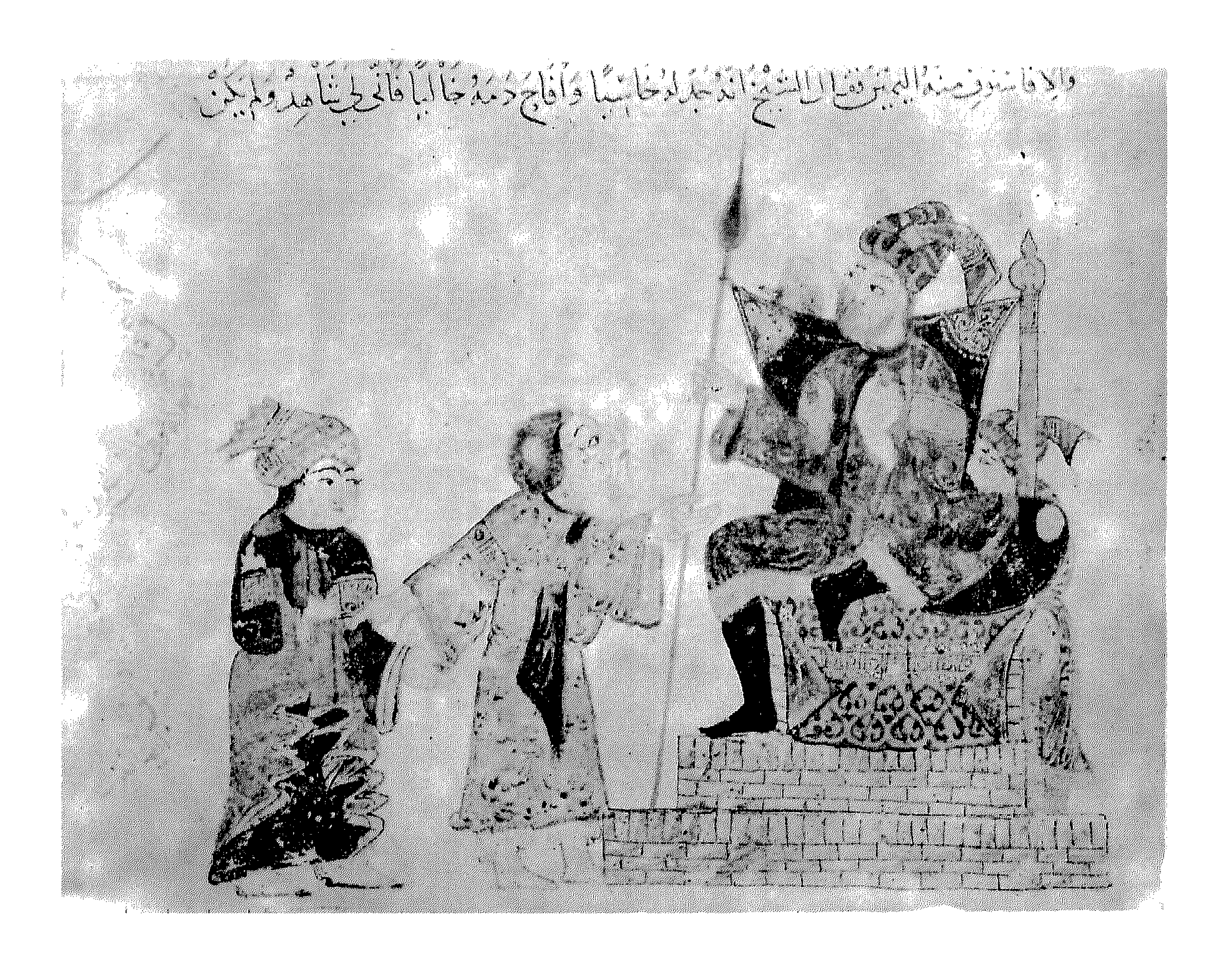
لوح ١١ السروجي وابنه امام قاضي زبيديه . ٣٤ الورقه ١٠٧ الوجه الاول (٢٢٧ مم × ١٥٢ مم) .



لوح ١٣ ، ابو زيد يعتذر بين يدي قاضي العره ، المقامه٨ المعريه الورقة ٢٢ الوجه الاول (٢١٢ مم X ١٣٢ مم) .



لوح ١٤ ، السروجي يشكو من الفقر امام والي مرو ، المقامه ٣٨ المرويه ، الورقه ١١٨ الوجه الاول (٢٣٠ مم × ١٨٠ مم) .



لوح رقم ١٥ ، السروجي وابنه بين يدي والي الرحبه،المقامة ١٠ ،الرحبيه ، الورقه ٢٦الوجه.



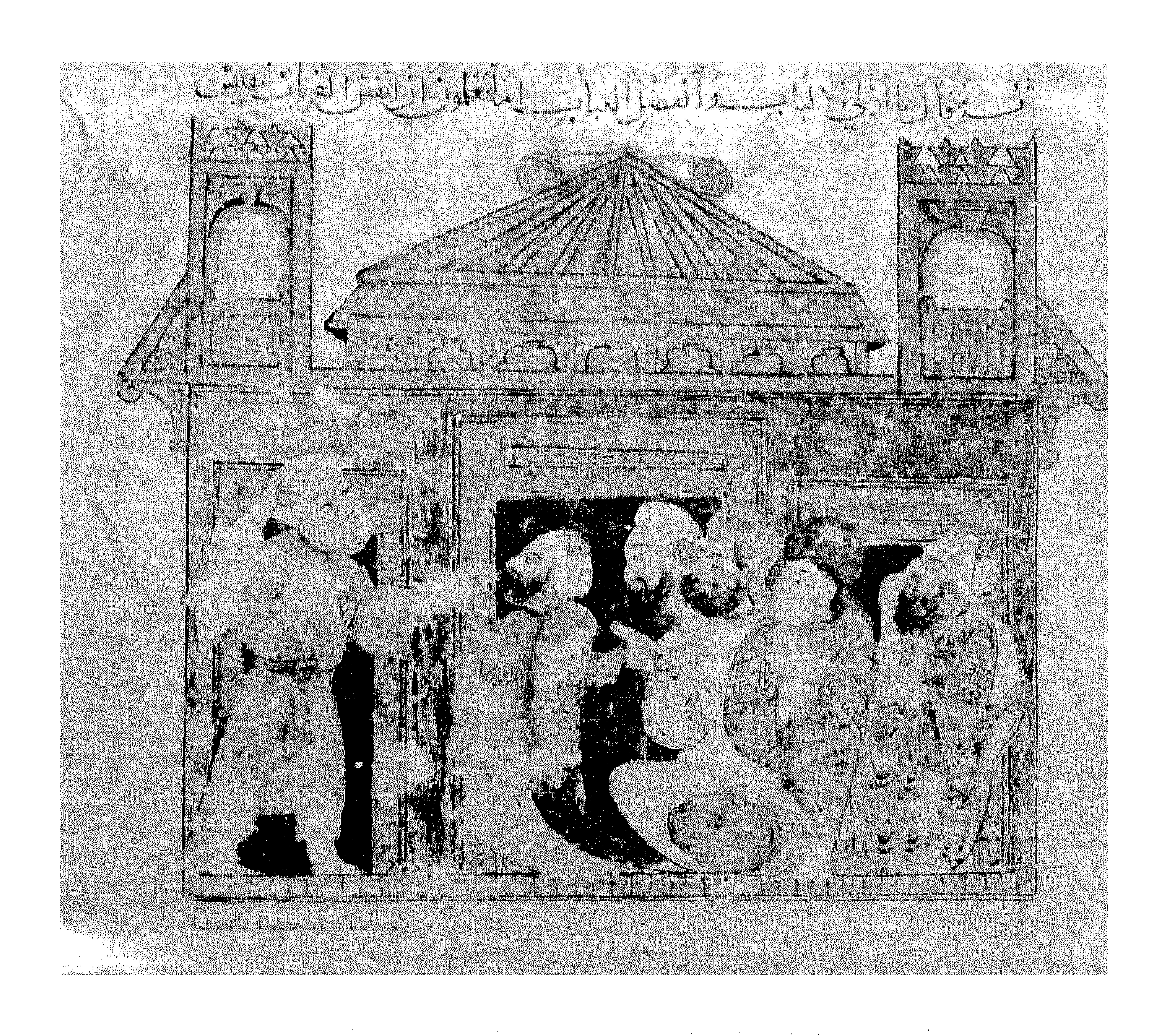
لوح ١٦ ،الورقه ١٦٤ الوجه الثاني ، ابو زيد يعظ في مسجد البصرة ، المقامه ٥٠ ، البصريه
الورقة ١٦٤ الوجه الثاني (٢٢٦ مم X ٣٤٠ مم) .



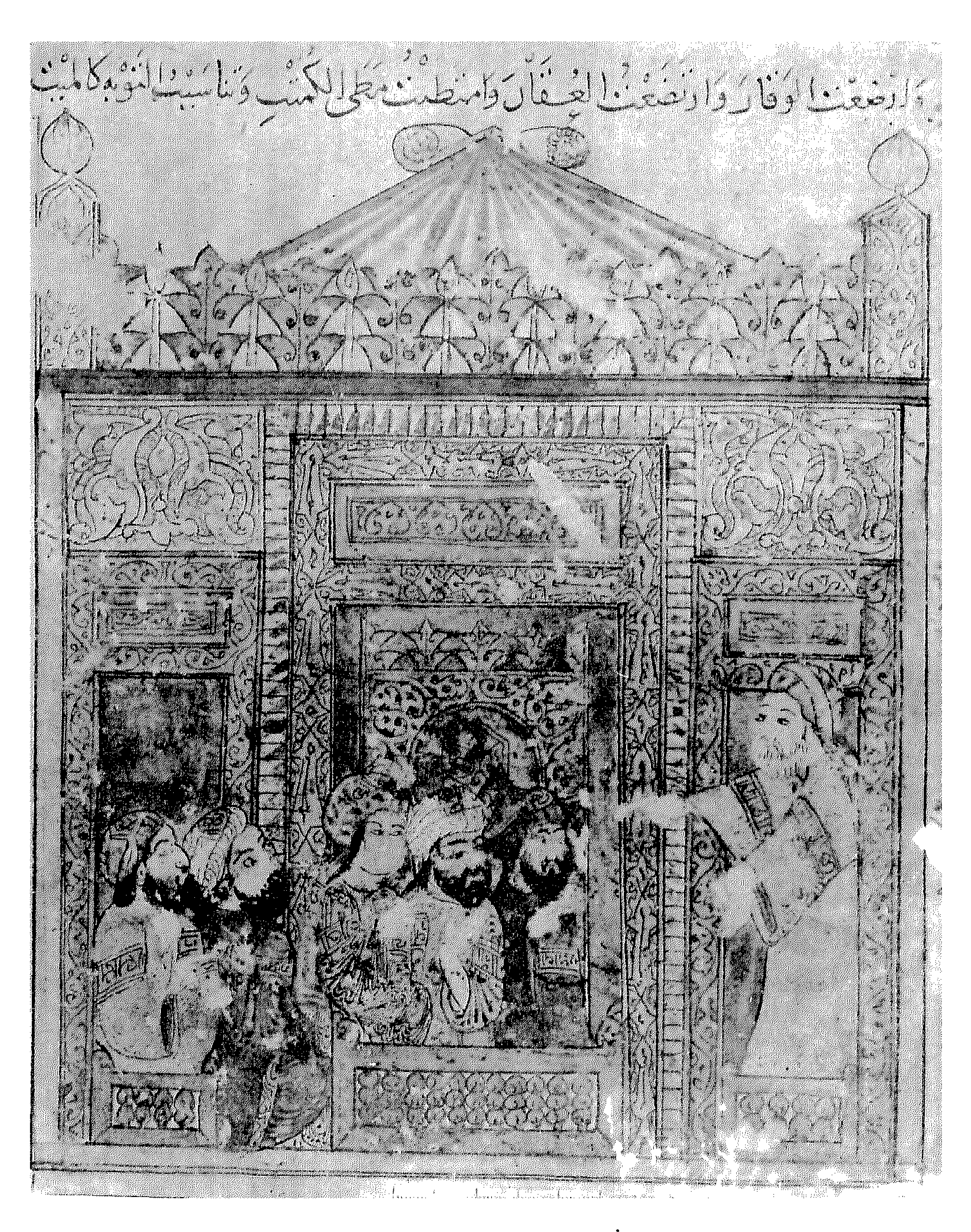
لوح ١٧ ، ابو زيد خطيب في جامع سمرقند ، المقامه ٢٨ ، السمرقنديه ، الورقه ٨٤ الوجه الثاني (٢١١ مم × ٢٢٨ مم) .



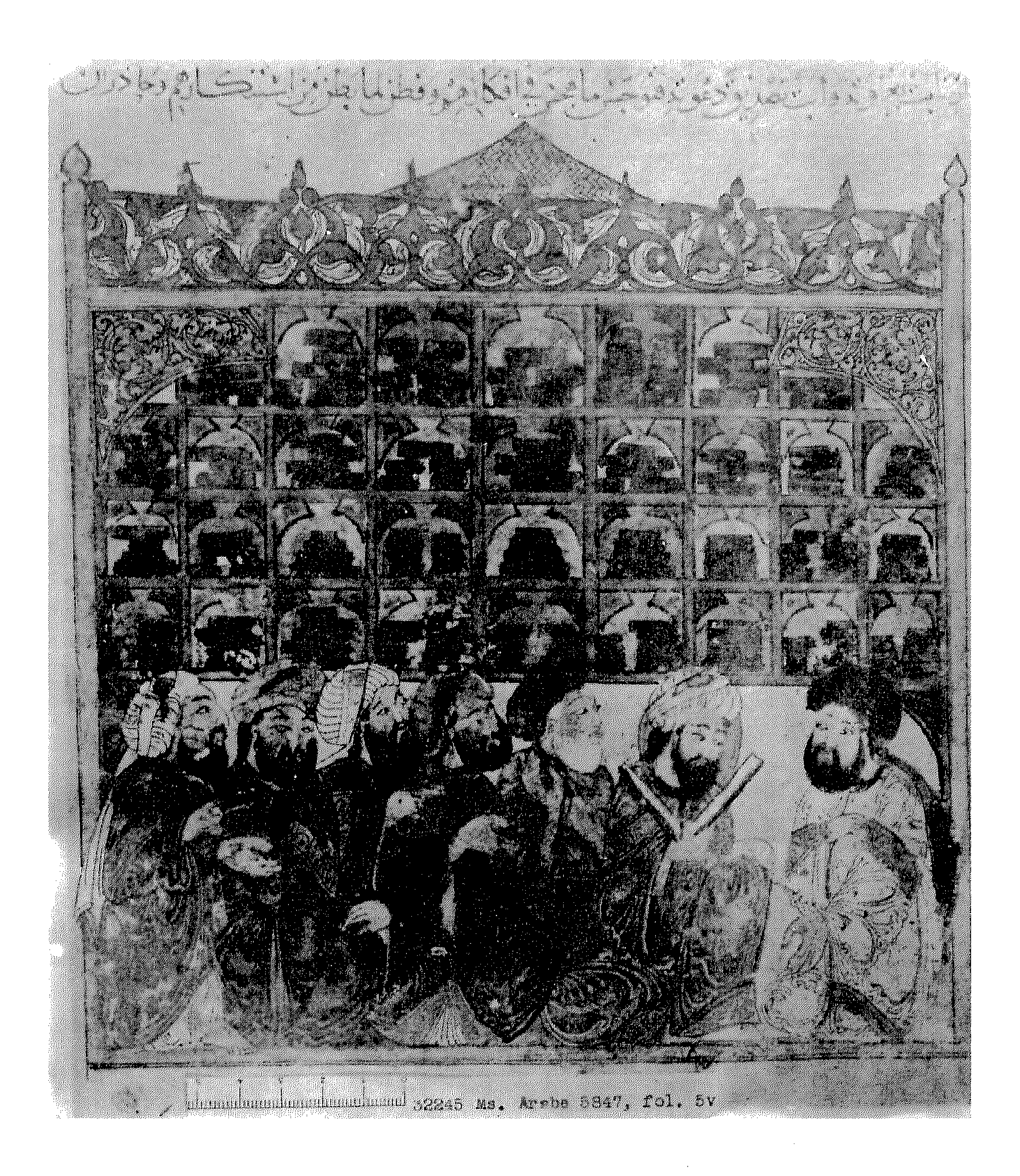
لوح ١٨ ، ابو زيد يتظاهر بالعمى ويطلب الصدقه من المصلين في جامع برقصيد ، المقامه ٧ ، البرقصيديه ، الورقه ١٨ ، الوجه الثاني ،(٢٢٥ مم × ٢٠٩ مم) .



لوح ١٩ ، السروجي يدخل أحد مساجد المغرب ، المقامه ١٦، الغربيه ، الورقه ٤٢ ، الوجه الاول (٢١٠مم X ١٩٧ مم).

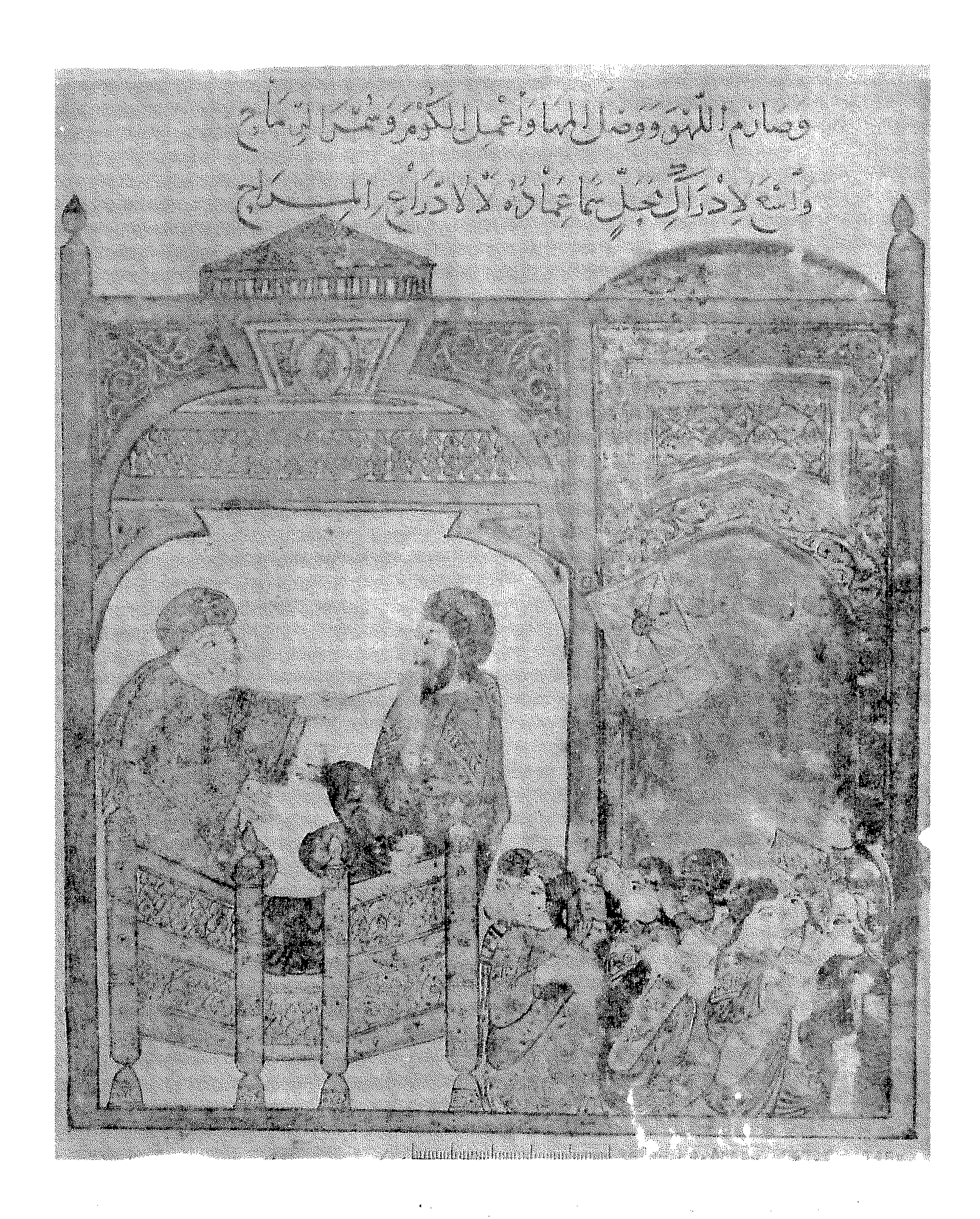


لوح ٣٠ ، ابو زيد يعظ في مسجد بنى حرام في البصره ، المقامة ٤٨ الحرامية ، الورقة١٥٨ الوجه الثاني (٢١٥ مم X ٢٥٠ مم) .



لوحة ٢١ ،ابو زيد في دار كتب في حلوان ، المقامة ٢ الحلوانية ، الورقة ٥ الوجه الثاني ،

(٢١١مم × ٢٠٤ مم).



لوحة ٢٢ ، ابو زيد يعلم في مكتب ، المقامة ٤٦ ، الحلبية ، الورقة ١٥٢ الوجه الاول (٢١٣مم × ١٩٠ مم)

ضبطات كما يقال ما به قلبة والجعاظ الأجوف وقيل المتسخط عند الطعام ه

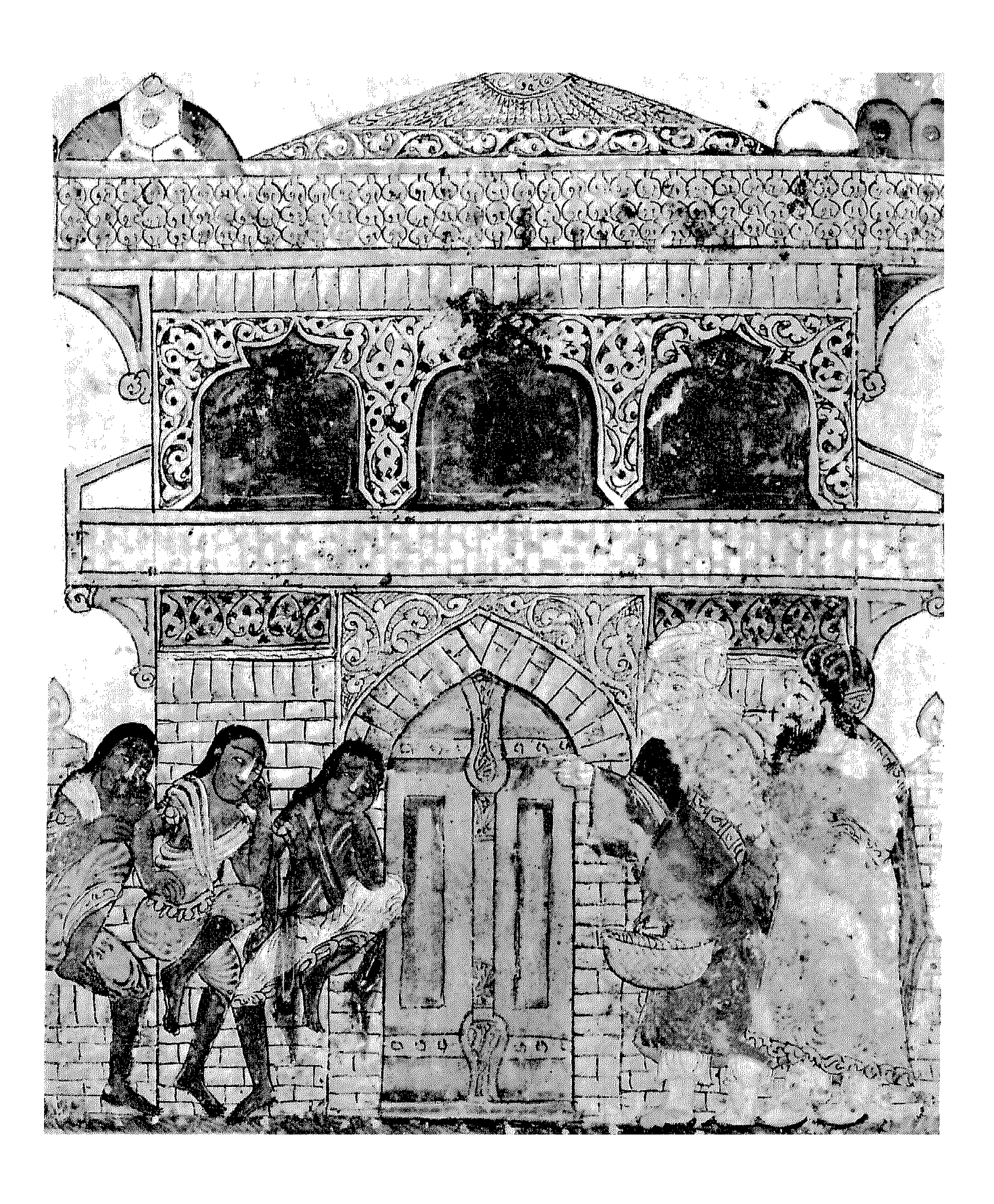
والشناظير والعناطل والعلظم والبظر بعد والإنعاظ

الشناظير جمع شنظير وهو السيء الخلق والعناطل الملازم الجراد والكلاب عند

السفاد والعظلم الخطمي ه

لوح ٢٣ ، ابو زيد يعلم صبيانا ، المقامه ٤٦ الحلبية ، الورقه ١٤٨ الوجه الثاني

(٢١٥ مم X ٢٢٩ مم)



شكل رقم ٢٦



ابو زيد خفير القافلة : تصويرة من (المقامة الثانية عشرة) - بغداد ٦٣٤هـ (١٢٣٧م)



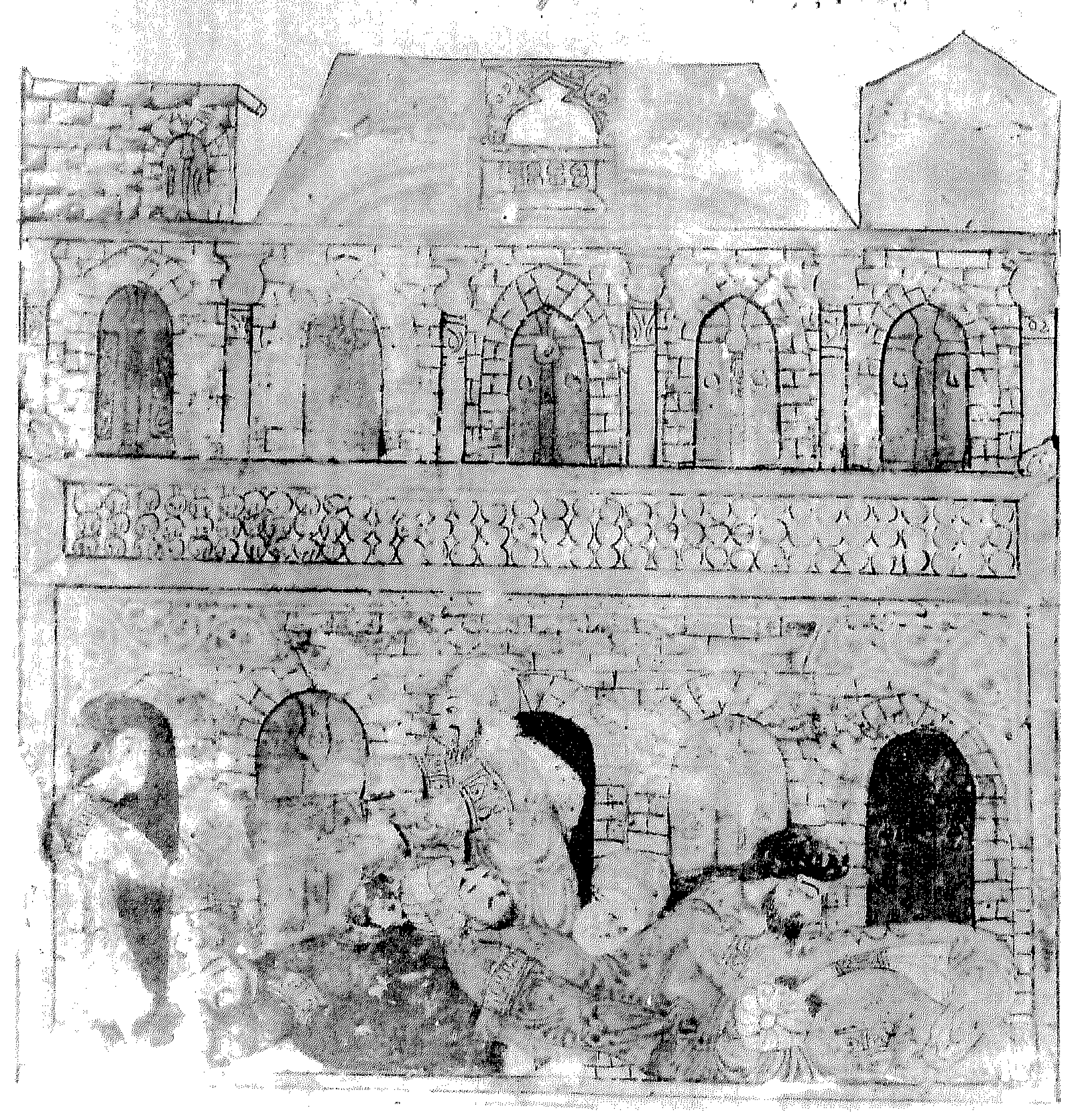
شكل رقم ٢٧ ابو زيد يتناول طعاماً في بيت الحارث : تصويرة من (المقامة الخامسة) بغداد ٦٣٤هـ (١٢٣٧) م



شكل رقم ٣٩

من ذا أجد ونجوم أفلاكي أقبال من لبس الصفاقة وخلع الصلافة فقال ...

المصلحة إلى المطلحة لا بل لا أخون مليحة فأقسمت بالذي جعله مباركا أينما كان ...



لوح ٢٥ ابو زيد وابنة يسرقا امتعة نزلأ خان. المقامه ٢٩ ـ الواسطية ـ الورقة ٨٩ ـ الوجة الاول

« ٢١٧ مم × ٢٢٠ مم »



لوح ٢٨ب ، الحارث في بيت السروجي ، المقامه ٥٠ البصريه ، الورقه ١٦٦ الوجه الاول ، (٢٠٨مم X ١٧١ مم) .



لوح ٢٩ ، ابو زيد يطرق باباً ويلتقي باء بنه ،المقامة ٥ ، الكوفيه، الورقه ١٣ الوجه الثاني ، (٢١٨مم × ١٨٦ مم) .

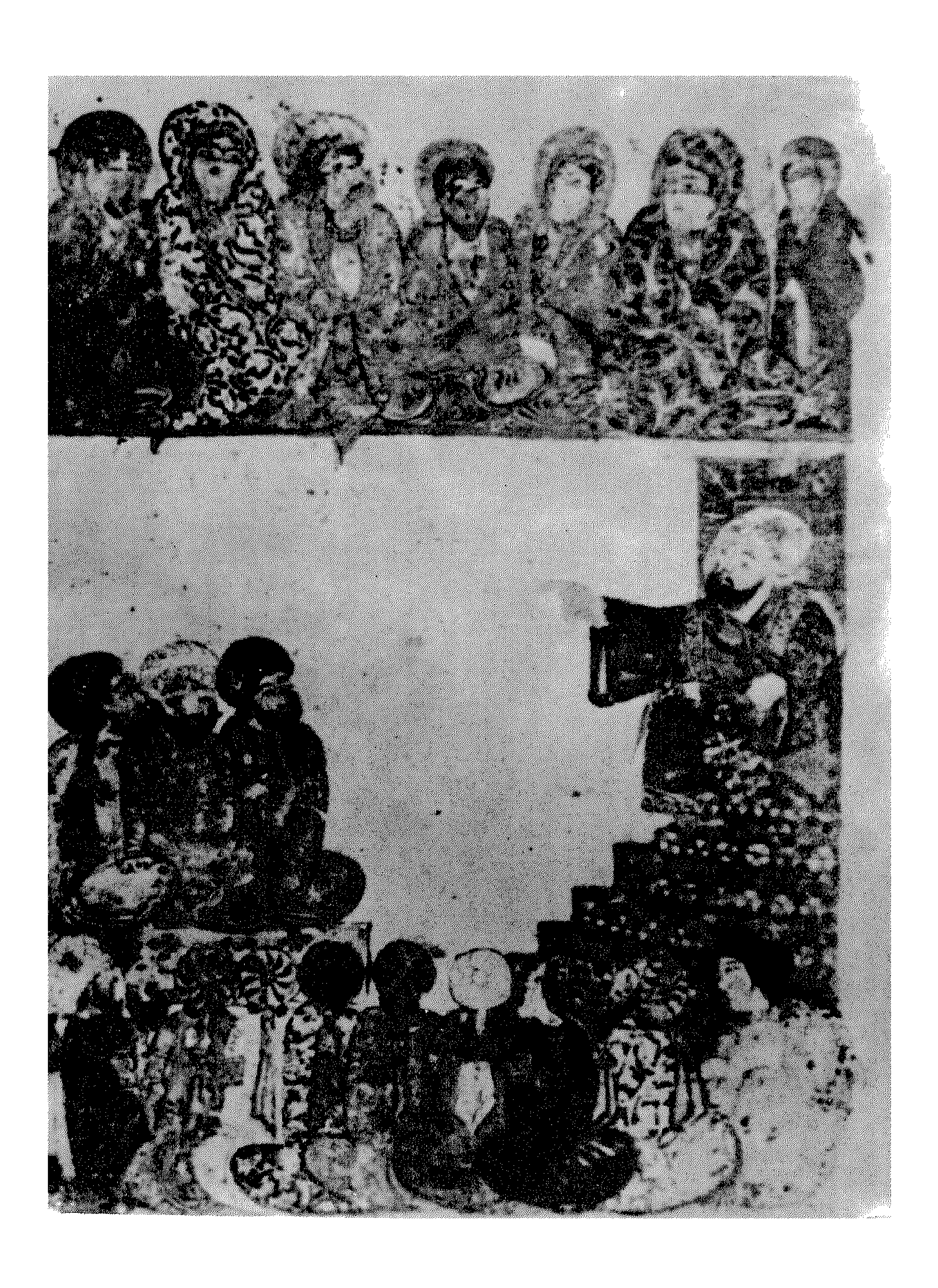


لوح ٣٠ ، ابو زيد يغادر دار مضيفه ، المقامه ١٨ السنجاريه ، الورقه ٤٨ ، الوجه الاول (٢١٣مم × ٢١٥ مم).



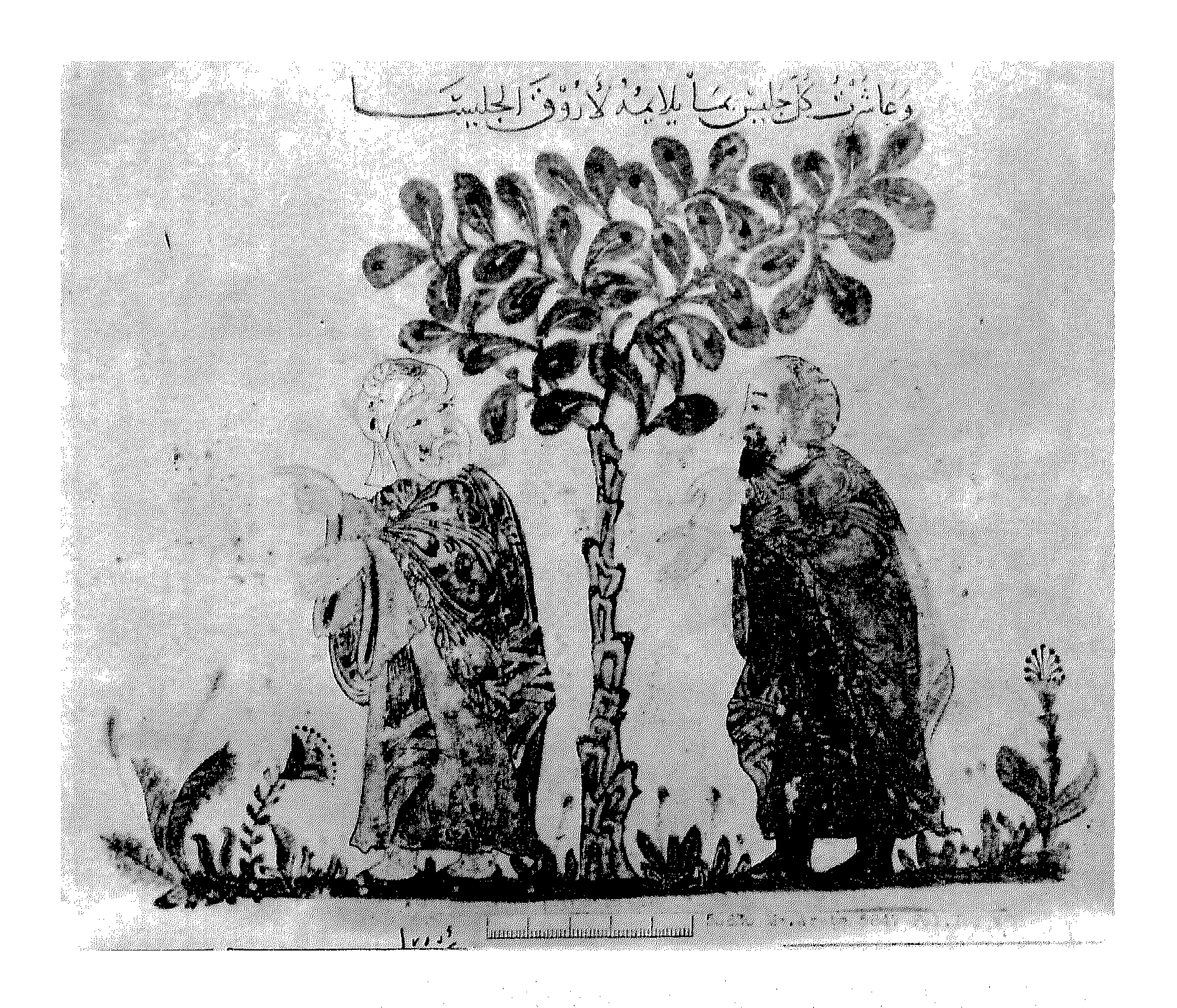
لوح ٣١ ، ابو زيد ، منظر حجامة ، المقامة: ٤٧ ، الحجرية ، الورقة ١٥٤ الوجه الثاني ،

«٢٣٥ مم × ٢٥٠ مم»





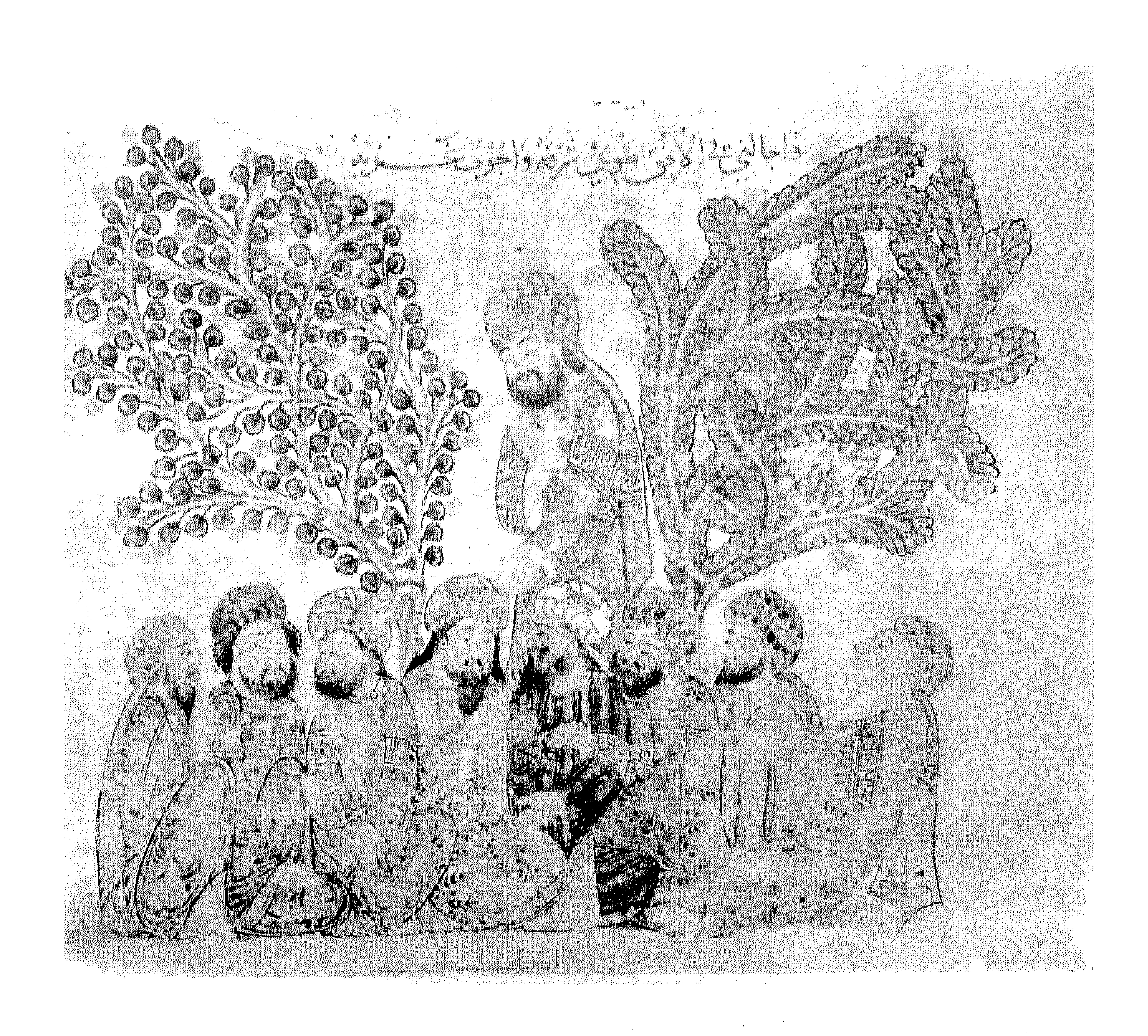
لوح ٣٢ ، ابو زيد السروجي يولجم والي مدينة الرى بحضرته ، المقامه ٢١ ، الرازيه ، المنحنمة على صفحتين متقابلتين ، الورقه ٥٨ الوجه الثاني والورقه ٥٩ الوجه الاول « ٢١٥ مم x ٢٩٨مم ٥٢٥ ٣٠٥مم».



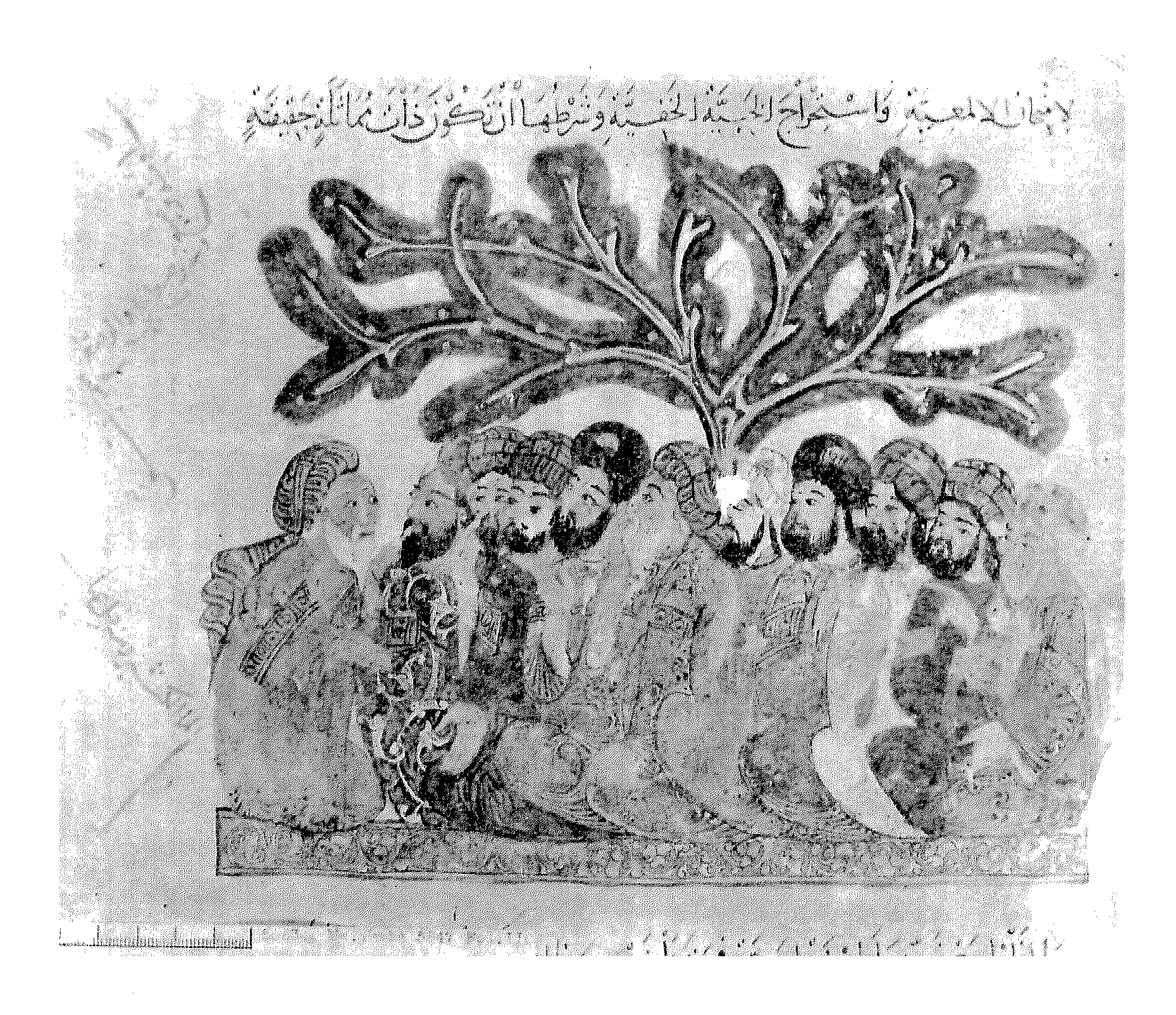
لوح ٣٤ ، الحارث يكلم السروجي ، المقامه ٣٢ الطيبيه الورقة ١٠٠ الوجه الثاني ،
(٢٤٠ مم × ١٨٥ مم)



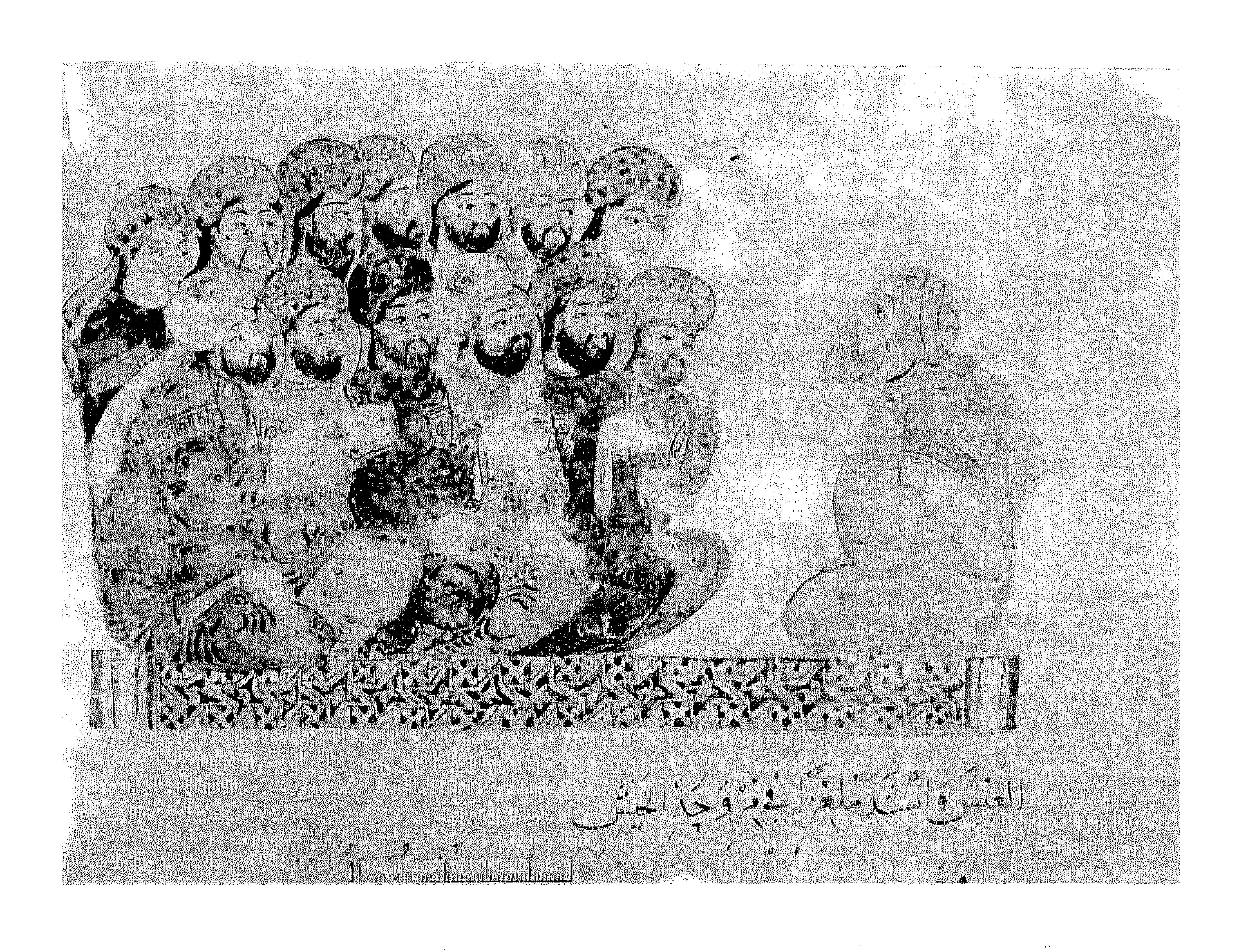
لوح ٣٥ ، ابو زيد يحيي جمع من الناس في ناد ، المقامه ٣ الديناريه ، الورقة ٧ الوجه الاول ، (٢٢١ مم × ١٨٥ مم) .



لوح ٣٦ . ابو زيد يحصل على هديه من جمع ، المقامه ١٧ القهقريه ،الورقة ٤٦ الوجه الثاني ، « ٢٢٥ مم × ٢٢٠ مم».



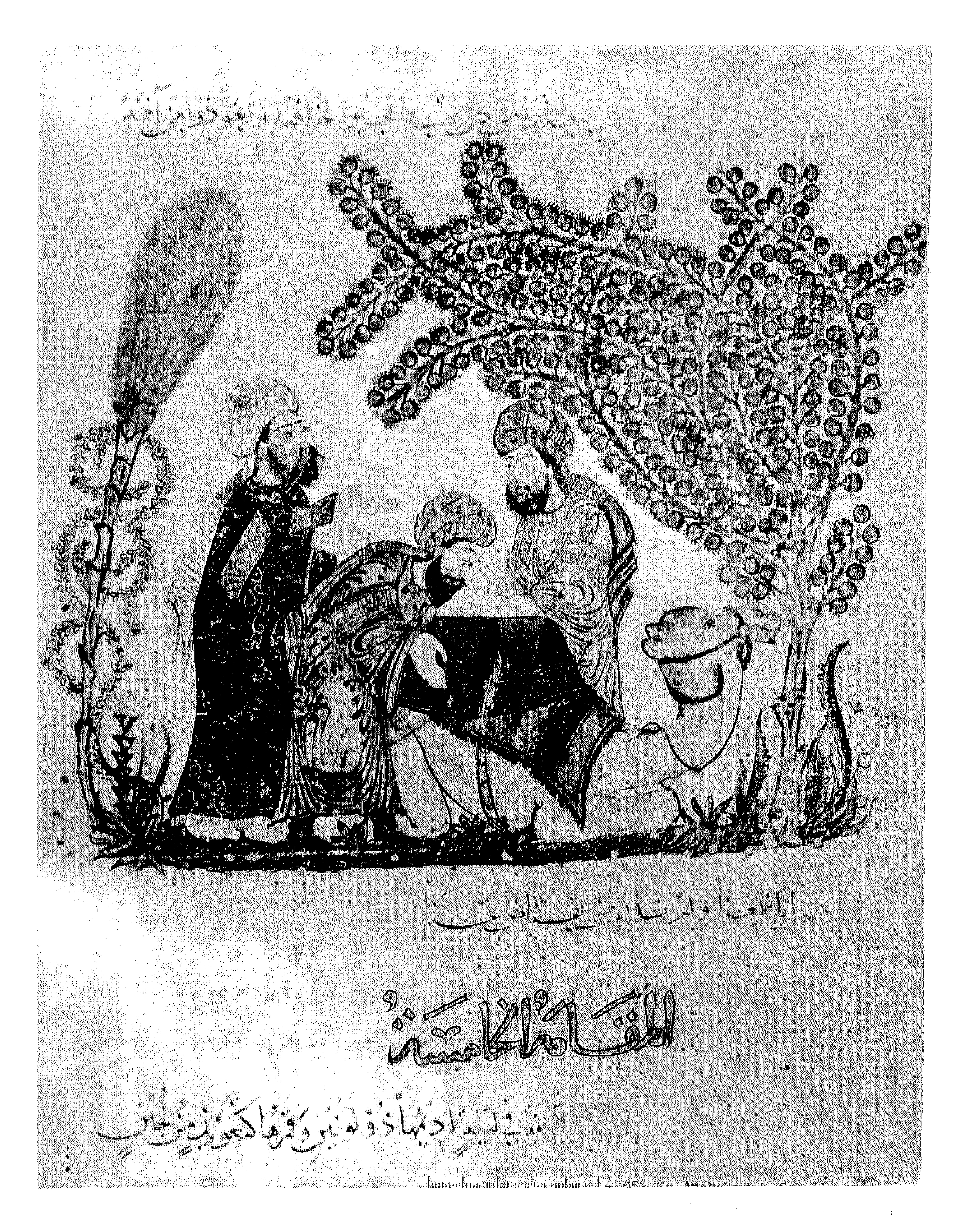
لوح ٣٧ . ابو زيد يجلس مع جماعة من الادباء ، المقامة ٣٦ الملطية ، الورقة ١١٠ الوجه الأول ؛ (٢٢٨ مم X ١٨٠ مم).



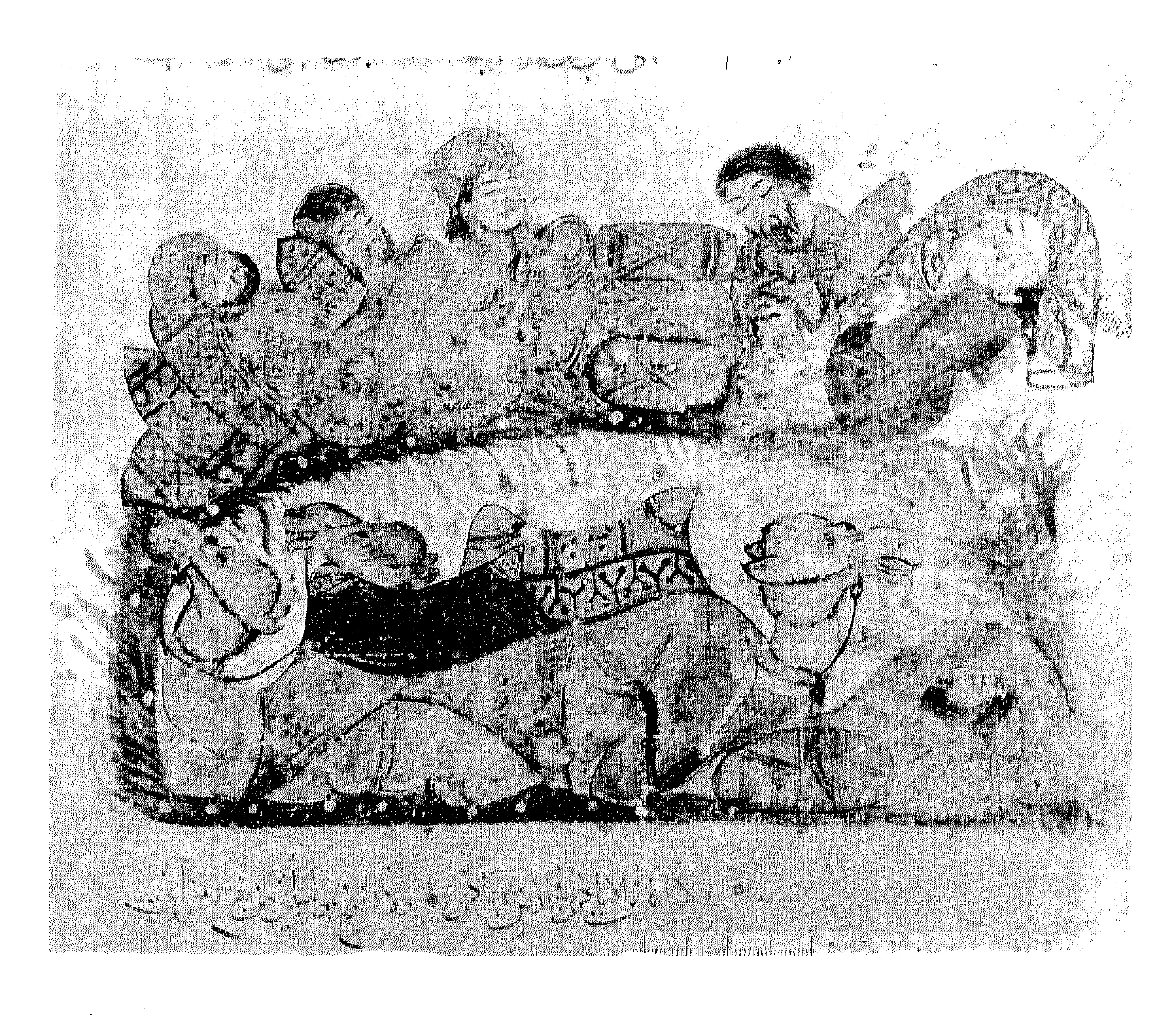
لوح ٣٨ ابو زيد يمتحن مجموعه من الادباء ، المقامه ٤٢ ، النجرانيه ، الورقه ١٣١ الوجة الثاني ،« ٢١٥مم × ١٤٤مم».



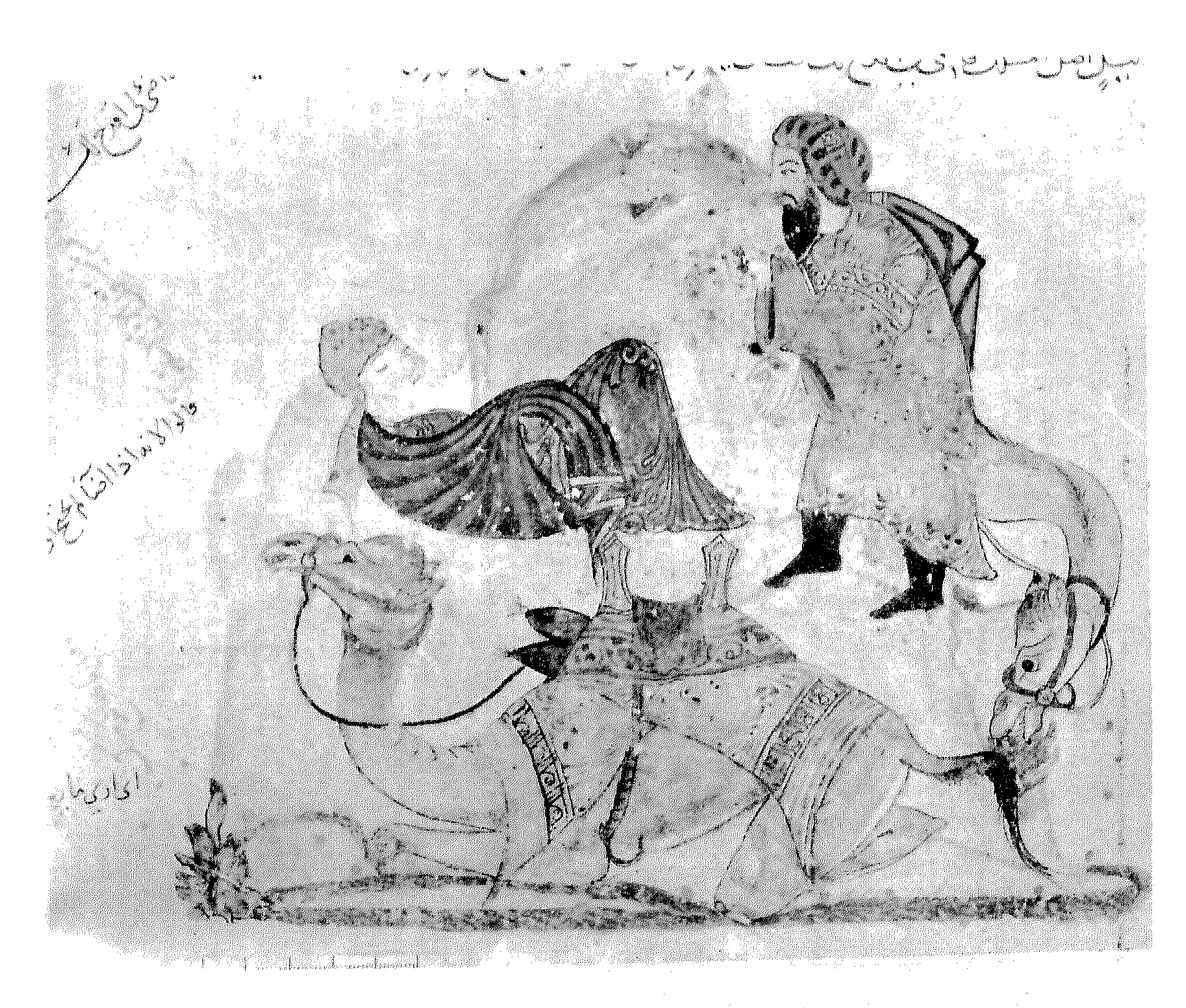
لوح ٤٠ ، ابو زيد على ناقتة المقامة ٤٤ الشتوية ـ الورقة ١٤٣ الوجه الاول ، (٢٢٠ مم X ١٩٥ مم) .



لوح ٤١ ـ الحارث يكتشف ابيات شعر كتبها السروجي على رحل ناقتة المقامة ٤. الدمياطية ، الورقه ١١ الوجه الثاني (٢٣٧ مم × ٢١٠ مم) .



لوح ٤٢ ، قافله في مناخ ،المقا امه الرابعة ، الدمياطيه ، الورقه ٩ ، الوجه الثاني ، (٢٥٠ مم X ١٦٦ مم) .



لوح ٤٣ السروجي نائم بجنب جبل ، المقامه ٤٣ ، البكريه الورقة ١٣٤ ، الوجه الاول ، (٢٠٣مم X ١٩٨ مم) .



لوح ٤٤ منظر قريه والحارث والسروجي يسألان غلام عن احوالها ، المقامه ٤٣ الشتويه، ورقه ١٣٨ ، الوجه الاول ، (٢٦٠ مم X ٣٤٨ مم) .



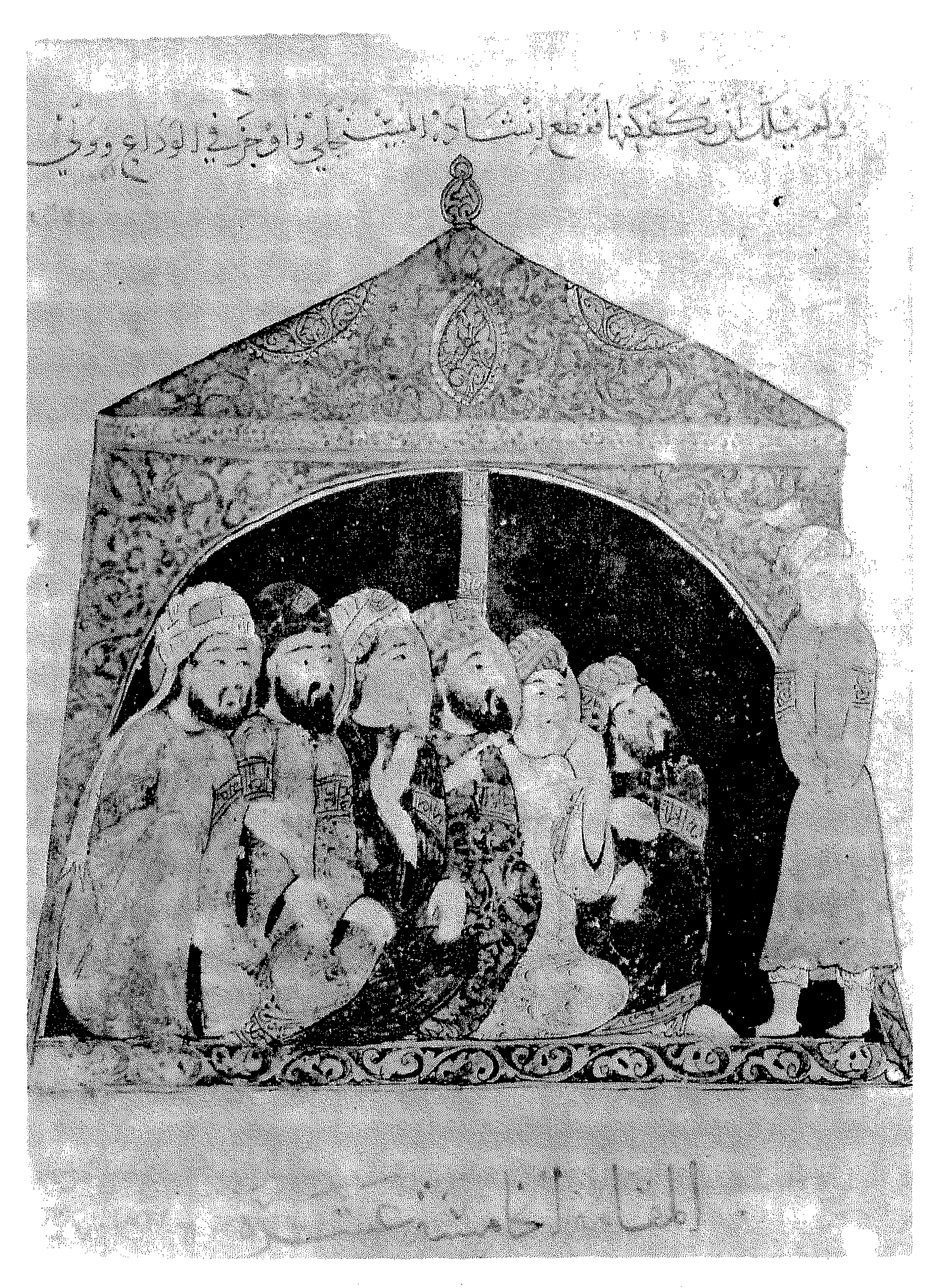
لوح ٤٥ ، قافله حجاج ، المقامه ٣١ الرمليه ، الورقه ٩٤ الوجه الثاني ، (٢٦٧ ممX٢٥٣مم ،)



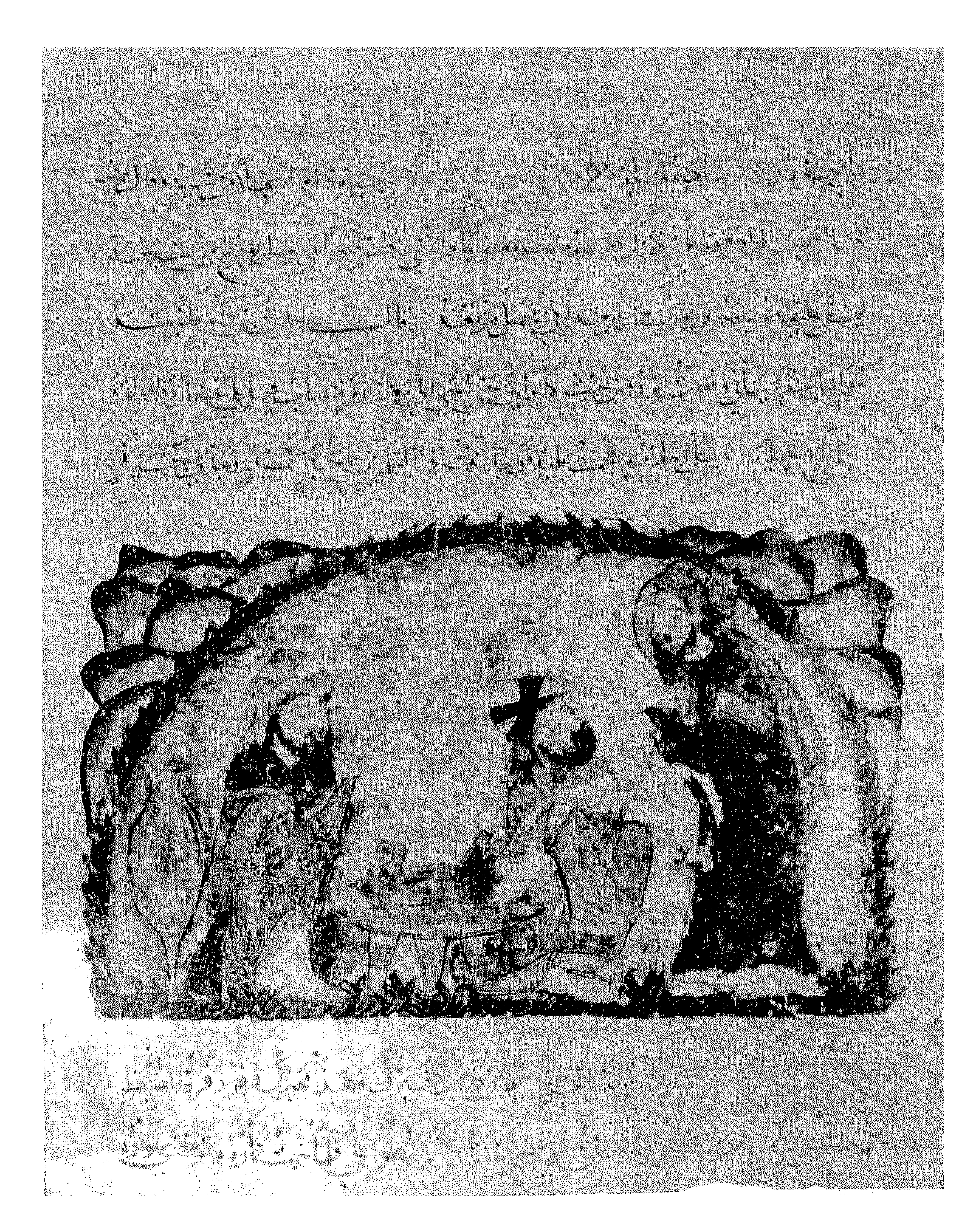
لوح ٤٦ ، أبو زيد يخطب في قافلة حجاج ، المقامه ٣١ الرمليه ، الورقـــه ٩٥ الوجه الاول [٢٢٥مم X ٢١٠ مم] .



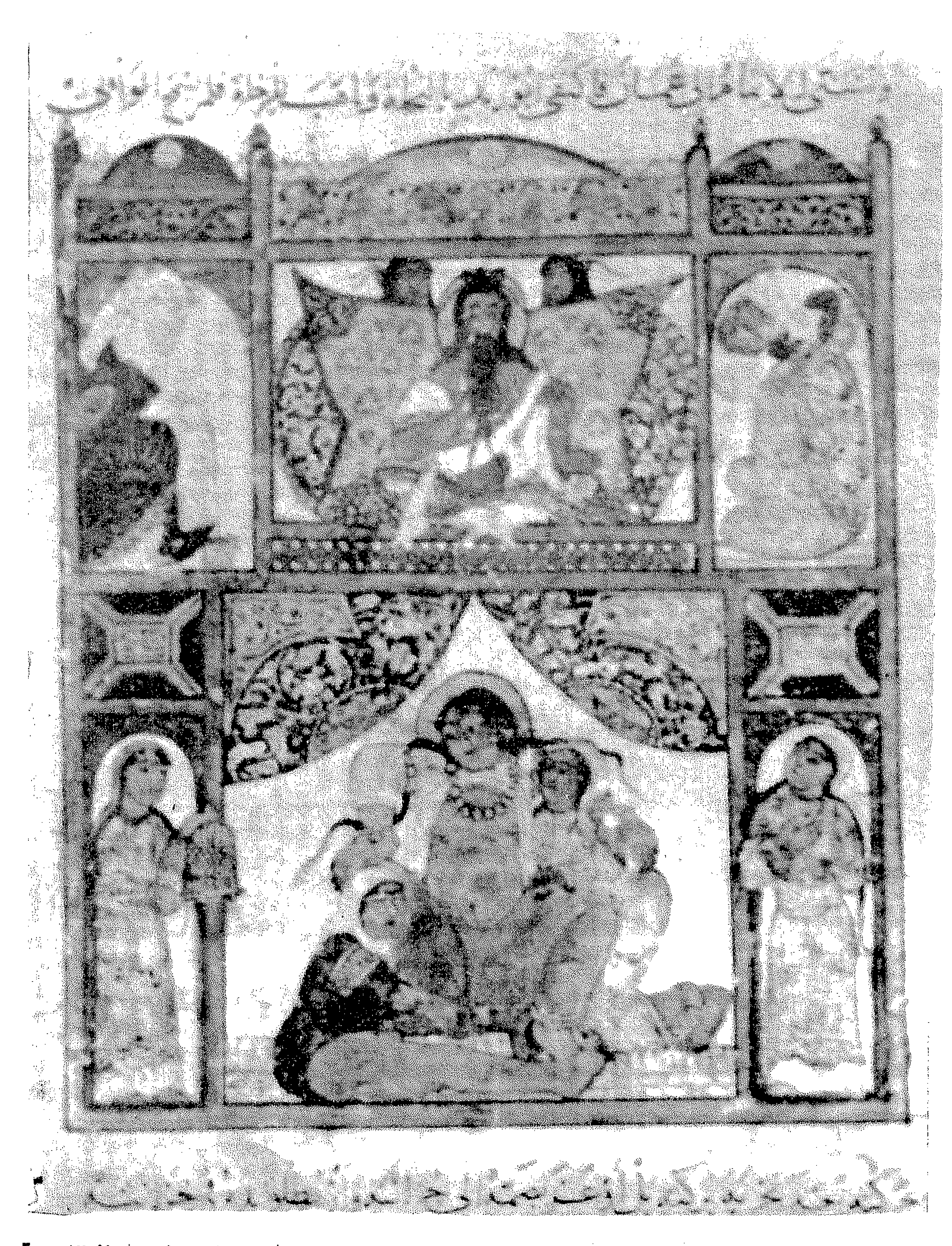
لوحة ٤٧ ـ الحارث ينزل ضيفاً على ابي زيد ـ المقامه ٢٦ ـ الرقطاء ـ الورقه ٧٧ الوجه الاول (٢٢٠ مم × ١٨٤ مم) .



لوح ٤٨ ، السروجي يبكي على ضياع مدينة سروج ، المقامه ١٤ المكيه ، لوح ٤٨ الورقه ٣٨، الوجه الاول [٢٠٠مم × ٢٣٠مم] .



لوح ٤٩ الحارث يكتشف السروجي وتلميذه في مغاره ، المقامه ١ الصنعانيه الورقه ٣ ، الوجه الثاني . [٢٢٧ مم × ١٥٠ مم] .



لوح ٥٣ ،منظر ولاده ، المقامه ٣٩ ، العمانيه ، الورقه ١٢٢ ، الوجه الثاني . [٢١٣ مم X ٢٦٢ مم] .



لوح ٥٤ أبو زيد يكشف عن غرموله ،لمقامه ٢٠ ، الفارقيه الورقة ٥٧ ، الوجه الاول ،
« ١٥٠ مم × ١٣٢ مم » .

الحارث يؤدي صلاة العيد في جامع برقعيد قال الحارث : وحين التأم جمع المصلين وانتظم ، واخذ الزحام بالكظم ، طلع شيخ في شملتين ، محجوب المقلتين ، وقد اعتضد شبه المخلاة ، واستقاد لعجوز كالسعلاة ، فوقف وقفه متهافت ، وحيا تحية خافت ، ولما فرغ من دعائه ، اجال خمس في وعائه فابرز منه رقاعا قد كتبن بالوان الاصباغ ٠

مسك الخطيب هنا بالسيف وارتفع بالقرب منه علمين سوداوين وظهر القوم باتجاه الخطيب لذلك برزت ظهورهم للمشاهد حيث جعل الواسطي زاوية النظر من الخارج اى من الجهة التي قدم منها السروجي ٠ وهذه طريقة الواسطي الخاصة بالتعبير عن مثل هذا المنظر ٠ الصورة معبرة جدا وجسم الواسطي الانفعالات التي انتابت الخطيب والحارث من كلام العجوز والشيخ ٠

ويظهر ان الواسطي كان واسع الاطلاع حتى على الطرز المعمارية التي كانت سائدة في العالم العربي الاسلامي انذاك ٠ فقد جعل من مئذنتي مسجد في المغرب مربعة حيث كان يسود هذا الطراز المعمارى هناك ونرى ذلك في منمنمة (لوح ١٩) رسمت لتترجم جملا من المقامة ١٦ المغربية حيث انضم الحارث بعد اداء الصلاة الى مجلس داخل المسجد وشاركهم الحديث ٠ قال الحارث : فلم اجلس الا لمحة بارقة خاطف ، او نغبة طائر خائف ، حتى غشينا جواب ، على عاتقة جراب ، فحيانا بالكلمتين ، وحيا المسجد بالتسليمتين ، ثم قال ياأولي الالباب ، والفضل اللباب ، اما تعلمون ان انفس القربات تنفيس الكربات ، وامتن اسباب النجاة ، مواساة ذوى الحاجات ،واني ومن احلني ساحتكم ، واتاح لي سماحتكم لشريد محل قاص ، وبريد صبية ٠ ٠٠٠ لخ

جعل الواسطي رواق المحراب اكبر من الرواقين المجانبين ، وهذه صيغة معمارية معروفة في اكثر مساجد العالم العربي الاسلامي ، كما جعل نافذة الانارة والتهوية في سقف رواق المحراب واظهر بعض اجزائها ٠ وهذا النوع من النوافذ الافقية المتحركة السقوف كان شائع جدا في التهوية في العالم العربي الاسلامي وما زالت سقوف المدرسة المستنصرية والمدرسة الشرابية تزدان بمثل هذه النوافذ ونشاهد عددا منها في عمائر اخرى في منمنمات الواسطي والشيء المهم هنا كذلك المئذنتان المربعتان اللتان ترتكزان على طرفي واجهة المسجد ٠ اما الرسوم الادمية التي تمثل الجلاس الذين خاطبهم السروجي الذى ظهر وجرابه على كتفه فان بينهم امرأة ٠ ونشاهد وجود الامرأة بين المصلين في المساجد في اكثر من منمنمة ٠ والواضح ان سقوف الاروقة هنا مستوية اما الاقواس ، فمدببة ، ونشر الواسطى الزخارف النباتية الجميلة على واجهة المسجد ٠

وتشارك المرأة الصلاة فى المسجد ثم الاستماع الى المناقشة او الندوات التي تتبع الصلاة في ارجاء المسجد التي كانت تعقد مجالس العلم والادب بشكل حلقات في ارجاء المصلى ٠ فنراها بين الجالسين فى منمنمة اخرى (لوح ٢٠) حيث تتوسط الجلاس الذين جلب انتباههم وبقوة خطيب عجوز ٠ روى ذلك الحارث

بن همام ، قال : ولما قضى الفرض ، وكان الجمع ينفض ، انبرى من الجماعة كهل حلو البراعة ، له مع السمت الحسن ، ذلاقة اللسن ، وفصاحة الحسن ، وقال يا جيرتي ، الذين اصطفيتهم على اغصان شجرتي ، وجعلت خطتهم دار هجرتي ، واتخذتهم كرشي وعيبتي ، واعددتهم لمحضري وغيبتي ، اما تعلمون ان لبوس الصدق ابلى الملابس الفاخرة ، وان فضوح الدنيا اهون من فضوح الاخرة ٠٠ الخ ٠

وهذا الكلام من المقامة ٤٨ ، الحرامية ، واروع مافي هذه المنمنمة الزخارف النباتية الدقيقة التي تزين واجهة الرواقين المجانبين لرواق المحراب ٠ جعلها الواسطي متناظرة وعلى مستويين ٠ وهذا الفن اى حفر الزخارف الدقيقة على مستويين هو ما اشتهر في العصر العباسي المتأخر وامثلته كثيرة في المدرسة المستنصرية وبناية (القصر العباسي) ٠ ونرى هنا الحاجز المشبك الذى يفصل المصلى عن باحة المسجد ٠

ونرى دور علم اخرى غير المساجد حيث نرى القوم يناقشون مختلف القضايا العلمية والادبية ووصفت الفترة التي تم خلالها انتاج هذه المنمنمات ،بان سوق الادب فيها رائجة وكان الاقبال شديدا على اقتناء المخطوطات النفيسة وتزويد خزانات الكتب العامة والخاصة بها ٠ ففي منمنمة من منمنمات الواسطي نشاهد جمعا من الادباء يتجاذبون اطراف الحديث مع زائر لهم في مكتبة من مكتبات مدينة حلوان ٠ وهذه التصويرة (لوح ٢١) ، توضح عبارات من المقامة ، الحلوانية حيث ذهب الحارث الى دار كتبها ، التي هي منتدى المتأدبين ، وملتقى القاطنين منهم والمغتربين ، فدخل ذو لحية كثة وهيئة رثة فسلم على الجلاس ، وجلس في اخريات الناس ، ثم اخذ يبدى ما في وطابه ، ويعجب الحاضرين بفضل خطابه ، فقال لمن يليه ، مالكتاب الذى تنظر فيه ، فقال ديوان ابي عبادة ، المشهود له بالاجادة ٠٠ الخ التصويرة في حالة جيدة جدا من الحفظ لولا بعض تلوين اصاب اللحي في وقت متأخر ٠ ونرى هنا الطريقة الخاصة بالواسطي في رسم طيات الملابس ٠ كما ان ترتيب الكتب في الاماكن الخاصة بها من الامور المهمة في هذه التصويرة ٠ فاننا نقرأ عن دور الكتب الكثيرة التي كانت موجودة انذاك لانعرف الطريقة التى كانت ترتب بها الكتب فهنا نشاهد ان الكتب كانت توضع في المناطق المخصصة بطريقة الترتيب الافقي لا العامودى المستعمل في الوقت الحاضر ٠ وزين الواسطي بعض اجزاء بناية المكتبة برسوم او زخارف نباتية بشكلين مختلفين ٠

وبجانب المسجد والمكتبة كانت المكاتب ايضا من دور التعلم فيذلك العصر ٠ وفيالمكاتب او (الكتاتيب) التي يتعلم بها الاطفال الكتابة والقراءة والحساب وغيرها من العلوم التي تتناسب وعمرهم ٠ وخلد لنا الواسطي شكل المكتب وطريقة التعليم ثم الواح التعلم في منمنمتين جاءتا لتوضحا جملا من المقامة ٤٦ الحلبية ، حيث يتقمص السروجي زى المعلم ولكن الحارث يكشفه بالرغم منذلك

وجد الحارث الشيخ يعلم عشرة صبية ويوجه لهم الاسئلة ، وكانت الاجابات قوية ودقيقة مما اثار استغراب الحارث وبعد تفحص المعلم وجده السروجي بنفسه ففي التصويرة الاولى (لوح ٢٢) نرى الحارث وقد جلس على طرف تخت المعلم وهو يصغي الى ما يقوله المعلم للصبية الذين جلسوا على ارض الغرفة وفي ايديهم الواح الكتابة • وقف احد الصبية يعد ارقاما ومسك الاخر حبل المروحة السقفية يحركها • وهنا نقل لنا الواسطي مشهدا من مشاهد المكاتب التي كانت في المدينة التي كان يعمل فيها كما عرفنا على المراوح السقفية التي كانت تستعمل آنذاك والتي ما زالت وبنفس الطريقة تستعمل في العراق في بعض قراه قبل سنوات • أما المنمنمة الثانية (لوح ٢٣) ، فنشاهد السروجي وهو يعاقب الحارث الذى جلس بالقرب على تخت يختلف عن التخت السابق • واظهر الواسطي هنا باب الدار وهو مغلوق وزين واجهة البناية بزخارف نباتية •

نترك دور العلم وننتقل الى مظهر من مظاهر الحياة في عصر الواسطي وهو مظهر التجارة ، البيع والشراء ، والاماكن التي كانت تجرى فيها هذه العملية • وكان السوق بالدرجة الاولى هو المكان المخصص لهذا الجانب المهم من جوانب الحياة • وفى منمنمة من منمنمات الواسطي نرى سوقا مسقوفة بسقف على شكل المحدب الجملون (لوح ٢٤) الذى تذكرنا بسقوف اسواق مدينة بغداد وحتى في الوقت الحاضر • ويظهر في هذه المنمنمة السروجي وقد تلثم وهو يعرض ابنه للبيع في سوق النخاسة فى مدينة زبيد • يظهر في التصويرة كذلك الحارث الذى اشترى الغلام ثم هناك امرأة ورجال زنوج جلسوا على دكة في انتظار المشترى • ونشاهد عملية وزن يقوم بها صاحب الدكان الاوسط في هذا السوق • وهذه المنمنمة تترجم نصا من نصوص المقامة ٣٤ الزبيدية •

وكانت الخانات من المراكز التجارية في العالم العربي الاسلامي ، فهي بالاضافة الى كونها الملجأ الوحيد الذى يلتجيء اليه التجار في اسفارهم ، فكانت تعرض في باحاتها البضاعة وتتم عملية البيع والشراء • ورسم لنا الواسطي شكل الخان من الداخل في منمنمة ، جاءت لتترجم جملا من المقامة ٢٩ ، الواسطية الى شيء مرئي • وهنا يروى الحارث ان السروجي وابنه كانا فى خان من خانات مدينة واسط (لوح ٢٥) ، وقدم السروجي حلواء مخدرة لنزلاء الخان وجمع اموالهم وهرب • جعل الواسطي الخان بطابقين وميزة بكثرة غرفه والشرفة التي تتقدم غرف الطابق العلوى • وظهر النزلاء فاقدى الوعي بينما السروجي يناول ابنه ماجمعه من التجار او النزلاء • ان شكل هذا الخان وترتيب غرفه لا يختلف في شيء عن اشهر خان باق الى الوقت الحاضر فى بغداد وهو خان مرجان الذى بني سنة ٧٥٦ هـ • وتوكد صورة الخان هنا صفة الواقعية فى منمنمات الواسطي

ومن أجمل الواجهات المعمارية التى رسمها الواسطي تلك التي تشغل الحيز الاكبر في منمنمة (لوح ٢٦) توضح قسما من المقامة ٣٩ العمانية •

وهذه العمارة الجميلة هي قصر حاكم احدى جزر الخليج العربي • ركب

السروجي والحارث البحر ظلت سفينتهم وخلص زادهم فخرجوا للتزود وقال الحارث : حتى افضينا الى قصر مشيد له باب من حديد ،دونه زمرة من عبيد ، فناسمناهم لنتخذهم سلما الى الارتقاء ، وارشية للاستقاء ، فالفينا كلا منهم كئيبا حسيرا ، حتى خلناه كسيرا أو اسيرا ٠ فقلنا ايتها الغلمة ، ما هذه الغمه ، ، فلم يجيبوا النداء ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء ٠٠ الخ ٠وقف السروجي وصاحبه الى يمين الباب وجلس ثلاثة من الغلماء الى يساره وقد بدى الحزن والالم على وجوههم ٠ الروعة تكمن هنا في العمارة باقواسها وشرفاتها ، وشبابيكها وسقوفها ٠ أما الزخارف التي تغطي اكثر اجزاء الواجهة فتزيد في جمال مظهر القصر وغنىصاحبه ٠ جعل قوس الباب مدببا منفوخا ، ويظهر أن الطابوق هو المادة البنائية المستعملة هنا وفي جميع العمائر التي رسمها الواسطي ٠ ونحن نعرف ان الطابوق هو المادة البنائية الرئيسية في بغداد منذ تاسيسها والى الوقت الحاضر ٠

ومن بين الدور الكثيرة في هذه المنمنات بيوت العامة او الفقراء والتي تتالف في غالبيتها من غرفة او ثلاث غرف ونشاهد في معظم هذه المنمنمات ايوانا كبيرا تستدل على مدخله ستارتان تلف على العمودين المجانبين للايوان وركز الواسطي على زخرفة هذه الستائر بادق الزخارف واجملها ٠ ومن هذه الدور بيت الحارث بن همام الذى استضاف رجلا في نهاية ليل وبعد ان اوقد النار عرف الحارث ان ضيفه هو السروجي (لوح ٢٧) وهذه التصويرة توضح جزءا من المقامة الخامسة ، الكوفية ، زين المزوق سياج سطح البيت بزخارف تتكرر في عدد من المنمنمات خصوصا لتزين واجهة السطح ٠ أما واجهة البناء فزخارفها نباتية دقيقة ٠ وشغل الايوان من اصحاب الحارث وخادمه والسروجي الذى ظهر وهو يأكل مما قدم له ٠ ان كرسي الطعام في هذه الصورة والاوانى التي عليه هي من الادوت التى كانت تستعمل في ذلك الوقت ٠

وفي تصويرة اخرى اجتمع السروجي والحارث على مأدبة طعام ولكن هذه المرة في بيت ابي زيد بعد ان تاب ورجع واستقر في مسقط رأسه ٠ وهذه المنمنمة (لوح ٢٨) ، توضح فقرات من المقامة ٥٠ ، البصرية ، وأهم ما فيها الشباك السقفي ذات الغطاء المتحرك ٠ فاظهره الواسطي هنا بوضع يكشف عن الغاية من استعمال مثل هذه الشبابيك ٠ ان دار السروجي غير موءثثة ومتكونة من غرفة واحدة وكل ما فيها هو سرير الشيخ واناء اكله ٠

اما دار زوجة ، السروجي ، التي هجرها من فترة (لوح ٢٩)طويلة بحيث لم يعرفه ابنه فهى تدل على فقر صاحبتها ، وهذه الدار هي لامرأة فقيرة وكل ماتشتمل عليه دولاب غزل هو وسيلة معيشتها ٠ وما زال هذا النوع من دواليب الغزل مستعملا الى الوقت الحاضر في بغداد ٠ ومع فقر صاحبة الدار فان واجهته مزينة بزخارف جميلة ٠ والتصويره توضح جملا من المقامة الخامسة ، الكوفية ٠ قال الحارث ان السروجي قد طرق بابا ولكن اصحاب الدار لم يتمكنوا من تقديم طعام له حيث خرج اليه طفل

وافهمه بانـــه لا يوجد لديهم طعـــام ، ونقل السروجـــي ما دار بينـــه وبين الفتى ، قال : « ولكن يا فتى ماسمك ، فقد فتنتني فهمك ، قال اسمـــي زيد ، ومنشي فيد ، ووردت هذه الداره امس ، مع اخوالي من بني عبس ٠٠ الخ ظهر السروجي على الباب يستفسر من الغلام عن اسمه وحسبه ونسبه ٠ أماالام فانها مشغولة بتدوير دولابها ٠

وجعل الواسطي بيت تاجر مستوى السقف مجللا بالستائر ومزينة واجهته بزخارف (لوح ٣٠) ٠ وجاء ذلك في منمنمة توضح المقامة ١٨ ، السنجارية او عبارات منها ٠ وكان السروجي ، كما روى الحارث ، في قافلة في طريقها الى سنجار وصادف ان احد تجار المدينة قد دعى رجال القافلة الى وليمة ٠ فقدم من الطعام ما لذ وطاب ولكن السروجي لم يعجبه نوع منه فقرر ان يغادر الدار ٠ ويظهر في هذه التصويرة وهو يهم بالخروج ولكن رجل وامرأة يحاولان ايقافه ولكن السروجي حلف ان يخرج من الدار اذا لم يرفع نوع معين من الطعام ٠

رسوم الجموع البشريه

وكان الواسطي مغرما برسم الحشود ، واستغل الجمل التي تصف تجمهر الناس في الاماكن العامة ، اما لسماع خطبة من واعظ بارع ، او للسيـــر وراء جنازة والصلاة عليها ، او لمشاهدة عملية جراحية يقوم بها حجام ماهر ، فترجمها الى وثائق فنية وتاريخيه مهمة ٠ وسار الواسطي على نهج معين في رسم الجموع وذلك باظهارها بشكل يشبه دائرة حول الموضوع المهم في التصويرة ، فنـرى بعض الاشخاص من الخلف فقط وبعضهم من الجانب والبعض الاخر بصورة امامية وتبرز امكانية الواسطي في حشد ما يزيد على السبعين شخصا في منمنمة واحدة قد تمتد على صفحة احيانا أو على صفحتين احيانا اخرى مع الحفاظ على تنـوع كبير في سحن الوجوه والصيغ والملابس واغطية الرأس ٠ ولم ينس الواسطي النساء في تصاويره الجماهيرية فيظهرن في معظمها يشاركن الحشد في الاستماع المشاهدة او الفرح والحزن ٠

ومن بين هذه المنمنمات تلك التي رسمت لتوضح عبارات من المقامة٣٢ ، الحجرية ، يروى الحارث انه كان في مدينة حجر ، احتاج الى حجام فارسل غلامه لايجاد الحجام٠ ولكن الغلام رجع واخبر الحارث ان الحجام مشغول ٠ خرج الحارث من الدار وذهب الى الحجام بنفسه واستغرب حين وقع نظره عـــلى : شيخ في هيئة نظيفة ، وحركته خفيفة ، وعليه من النظارة اطواق ، ومـــن الزحام طباق ، وبين يديه فتى كالصمصامة ، مستهدف للحجامة ، والشيـخ يقول له اراك قد ابرزت رأسك ، قبل ان تبرز قرطاسك ، وليتني قذالك ،

ولم تقل لي ذالك .. الخ . اختار الواسطي هذه العبارات وترجمها بتصويرة دقيقة (لوح ٣١) وجعل النظارة بشكل طوق يحيط بالشيخ الحجام وهو يجرى العملية ، ويراقبون باندهاش خفة يد الحجام وكلامه . ولم يفت الواسطي ان يجعل من خزان الات وأدوات الحجام الطبية مركز المنمنمة حيث وزع حوله الناس ، كما انه استغل ملابس بعض الاشخاص فزينها باجمل الزخارف النباتية ، واعتنى باغطية الرأس فنوعها .

وعندما لاتكفي الصفحة الواحدة من المخطوطة لرسم جموع من الناس يمد الواسطي المنمنمة على صفحتين متقابلتين منها . فعندما قرر ان يوضح فقرات من المقامة ٢١ الرازية ، ترك صفحتين متقابلتين لها . وفي هذه المقامة ، كما يروى الحارث ، انه رأى جموعا من الناس تسير ، فاستغرب وعندما سأل احد المارة اخبره بان هذه الجموع تقصد واعظا بارعا عرف عنه جراءته وصراحته . فسار الحارث معهم وقال : ثم افضينا الى ناد جمع الامير والمأمور ، وحشد النبيه والمغمور ، وفي وسط هالته ، ووسط اهلته ، شيخ قد تقوس واقعنس وتقلنس وتطلس ،وهو يصدع بوعظ يشفى الصدور ، ويلين الصخور فسمعته يقول وقد افتتنت به العقول . وبعد خطبة بليغة استصرخ احد المستمعين الامير من جور عامل له ولم ينجده الامير ، فاستغل الخطيب هذه الفرصة والقى خطبة لام فيها الامير وحذره من الظلم والجور . قال الخطيب موجها كلامه للامير ، ايها المتوشح بالولاية ، والمترشح للرعاية ، دع الادلال بدولتك ، والاغترار بصولتك ، فان الدولة ريح قلب ، والامرة برق خلب ، وان اسعد الرعاة من سعدت به رعيته ، واشقاهم في الدارين من ساءت رعايته .. فوجم الوالى لما سمع ، وامتقع لونه وانتقع ، وجعل يتأفف من الامرة ، ويردف الزفرة بالزفرة .. الخ . ابدع الواسطي حين اظهر الامير وهو يردف الزفرة بالزفرة (لوح ٣٢) .

المنمنمة كما ذكرنا تمتد على صفحتين وتجمع بين اكثر من صيغة فنية وهذه هي ميزة الواسطي فان له قابلية كبيرة في الجمع بين الصيغ الفنية التي كانت سائدة في زمانه . فرسم الامير واتباعه بصيغة كانت شائعة في الفن الساساني واخذها الفن الاسلامي منذ العصر الاموى . وهذه الصيغة هي ظهور الامير بحجم اكبر من رسوم الاشخاص المجاورين له ، وبالاضافة الى ذلك تناظر العناصر التي ترسم الى جانبي صورة الامير وغطاء رأسه وكذلك اغطية رؤوس مرافقيه . والصيغة الثانية هنا هي شخص رئيس يخاطب مجموعة من الناس امامه وهي معروفة كذلك في رسوم المدرسة العربية ، وفي منمنمات الواسطي خاصة .

حشد الواسطي في هذه المنمنمة ٥٧ فردا نساء ورجالا راعيا ورعية ، جلاسا وواقفين وفرسانا على ظهور خيولهم وجلست النساء في جانب وهن يرتدين العباءة والنقاب . ومن الامور التي تلفت النظر في هذه التصويرة الزخارف

الهندسية الدقيقه التي تزين منصة الواعظ ، فعلى الرغم من صغر المساحة فان الواسطي رسمها بدقة ولونها بوضوح •والمنمنمة بصورة عامة فيها تنوع في صيغها وعناصرها الفنية ، وملابس واغطية روءوس الناس المرسومين فيها ، كما وبها الدقة والبراعة في حشد ٥٧ شخصا في مساحة صغيرة اذا ما قيست بعدد الاشخاص المرسومين فيها • وبها ايضا الزخارف النباتية والهندسية الجميلة اما التعبيرية والواقعية فخير ما يمثلها هنا صورة الامير •

مثل لنا الواسطي واقع الحياة في بغداد تمثيلا صادقا في منمنماته وامتد هذا التمثيل مع حياة الانسان من المهد الى اللحد • فهناك منمنمة لمنظر ولادة طفل وهنا اخرى لانزال ميت في لحد (لوح ٣٣) • وهذه التصويرة ترينا مشهدا في مقبرة ، وجاءت توضيحا لفقرة من المقامة ١١ ، الساوية • ويروى الحارث انه عندما كان في ساوة ضاق صدره وحاول ان يزيل كربه بزيارة المقبرة ، ولما وصل اليها رأى : جمعا على قبر يحفر ومجنوز يقبر •• الخ • صور الواسطي هذه العبارة بنقل منظر من مناظر الدفن في بغداد حيث يرافق الجنازة النسوة وقد كشفن عن شعرهن ومزقن شيئا من ملابسهن • الصورة معبرة للغاية ومؤلمة جدا • فقد اعطى الواسطي الجو الحزين جدا الذى يخيم على مثل هذه المناظر • وظهر في التصويرة ابنية مشهدين مقببين • وما زال هذا النوع من المشاهد موجودا في بلاد ما بين النهرين (العراق) • كما انعادة زرع الاشجار في المقابر هي الاخرى مستمرة الى وقتنا الحاضر •

رسوم الحيوانات

واولع الواسطي في رسم الحيوانات ، فنراها في منمنماته فرادى وقطعانا وتمتاز رسوم الحيوانات في تصاويره بقرب واضح من الطبيعة أذا ما قورنت بتصاوير البشر والعمائر • وهذه الصفة عامة في رسوم المدرسة العربية • ومن المحتمل جدا ان صفة التجسيم النسبي في هذه الرسوم تعود الى أثر تصاوير كتب الحيوان التيكانت توضح لاغراض طبية والتي رسومها لا تخضع لموقف الفقهاء من الرسوم • وخير ما يمثل الرسوم الحيوانية في منمنمات الواسطي صورة قطيع جمال مع راعية (لوح ٣٩) • والتصويرة توضح جملة من المقامة ٣٢ الطيبية ، ويدور الكلام حول الهدية التي حصل عليها السروجي بعد أن أجاب على مئة سؤال في مختلف العلوم حيث ساق له القوم ذودا مع قينة • وجاء في معنى القينة ، انها الجارية التي تعمل جيدا وقيل هي المغنية الجميلة تعتبر هذه التصويرة بحق من أروع لوحات الواسطي واكثرها شهرة ففيها الحركة وفيها الرقة في الالوان وفيها الابداع في تصوير قطيع من الجمال ، يعد عشرة ، ولميفت الواسطي الا أن يظهر جميع ارجل جمال هذا القطيع • اما القينة فوجهها جميل وملابسها فاخرة •

وتظهر سفينة الصحراء في عدد لا بأس من منمنمات الواسطي ، ونحن نعرف ان الجمل او الناقة كان وسيلة النقل الرئيسية في ذلك الوقت فيستعمله الحاج والمسافر والتاجر وغيرهم في التنقل والسفر من مدينة الى اخرى

وفي منمنمة اخرى نشاهد ناقة السروجي ، قاطعة المسافات الشاسعة والتي يروى عنها الحارث قصصا غريبة ومنها ان السروجي بعد ان قضى وقتا ممتعا مع مجموعة من الناس في مضيف رجل وبعد منتصف الليل قرر الارتحال ، فوثب الى الناقة فرحلها ، ثم ارتحلها ورحلها ، وقال مخاطبا لها :

سروج ياناقة فسيرى وخذى | واولجي واوبي واسئدى
حتى تطأ خفاك مرعاها الندى | فتنعمى حينئذ وتسعدى
واخرى اديم فدفد فقد فد | وافتنعي بالنشح عند المورد

واختار الواسطي هذا القول من المقامة ٤٤ الشتوية ليترجمه بتصويرة جميلة نشاهد فيها السروجي يخاطب ناقته العزيزة (لوح ٤٠) .

وفي تصويرة اخرى رسم الواسطي الناقة وهي جاثية (لوح ٤١) ، وهذه التصويرة توضح عبارات من المقامة الرابعة ، الدمياطية ، التي يروى الحارث فيها انه كان رفيق قوم مسافرين وجلب انتباهه كلام رجل الى ابنه في ليلةعندما حط القوم الرحال وغطوا في النوم . وفي الصباح تعرف الحارث على الرجل ووجد انه السروجي وابنه وبعد ان حصل السروجي ما اراد من القوم استأذن للاستحمام في قرية قريبة من المناخ ووعدهم انه سيعود في القريب العاجل . ولكن انتظار القوم طال ولم يظهر السروجي فقرروا الارتحال وعند التهيئة للرحيل وجد الحارث ان السروجي قد ترك كتابه على رحل ناقة يخبرهم فيها بانه لن يعود قال الحارث لاصحابه ، فتأهبوا للظعن ، ولا تلووا على خضراء الدمن ، ونهضت لاحدج راحلتي ، واتحمل لرحلتي ، فوجدت ابا زيد قد كتب على القتب :

يا من غدا لي ساعدا | ومساعدا دون البشر
لا تحسبن اني ناسيك | عن ملال أو اشر
لكنني مذ لم أزل | ممن اذا طعم انتشر

قال : فأقرأت الجماعة القتب ، ليعذره من كان على عتب ، فاعجبوا بخرافته ، وتعودوا من آفته . وهنا اظهر الواسطي ثلاثة افراد من القافلة يتطلعون الى ما اكتشفه الحارث من خبر ابي زيد . والمنظر بين شجرتين ، تمتد اغصان احداهما فوق رؤوس الرجال والناقة . ولم يظهر الواسطي شيئا من الكتابة على الرحل بل زخرف ثوب رجل بزخارف خطية كوفية متقنة وجميلة .

وهذه المقامة الشتوية موضحة باكثر من تصويرة ، فهناك تصويرة اخرى (لوح ٤٢) رسمت لتوضح لقسم الاول من المقامة . روى الحارث انه كان برفقة قافلة وبعد مسيرة طويلة نزل القوم في ، ارض مخضلة الربى ، معتلة الصبا فتخيرناها مناخا للعيس ، ومحطا للتعريس ، فلما حلها الخليط ، وهدا بها الاطيط والغطيط .. الخ .

رسم الواسطي افراد القافلة وقد غطوا في نوم عميق . وصور الجمال في الخط الاول من التصويرة ثم وضع الرجال وامتعتهم على الخط الثاني منها .

ان صيغة اظهار العمق غير واقعية ، ظهرت الرسوم في الخط الخلفي من التصويرة فيمستوى اعلى من الرسوم في الخط الامامي ، وكانت هذه هي الوسيلة للتعبير عن العمق في رسوم المناظر البرية ، أي رسم الاشكال على خطين الاول في المقدمة والثاني في المؤخرة ، واحيانا يوصل هذين الخطين بخطوط من الجوانب فتظهر الرسوم على شكل اطار او شريط دائري يحيط برسم يتوسط التصويرة • وفي هذه المنمنمة كما في البقية عبر الواسطي عن الارضية بشريط من الحشائش يكون شكلا مستطيلا •

ولم ينس الواسطي ان يرمز الى الجبل في تصويرة من تصاويره ، على الرغم من ان البقعة الجغرافية التي كان يعيش فيها خالية من الجبال • والتصويرة (لوح ٤٣) تترجم جملا من المقامة ٤٣ ، البكرية ، حيث يروى الحارث انه فقد الطريق في ليلة ظلما واخذ يسير لا على التعيين وفجأة ، قال الحارث : تراءى لي شبح جمل ، مستذر بجبل ، فترجيته قعدة مريح وقصدته قصد مشيح فاذا الظن كهانة ، والقعدة عيرانة ، والمريح قد ازدمل ببجادة ، واكتحل برقادة •• الخ • ظهر في التصويرة الحارث وهو يحاول ايقاظ السروجي الملتف بكسائه المخطط ، وهي (البجادة) والبجادة من اكسية العرب ، وفي عدد من التصاوير استطاع الواسطي ان ينقل لنا طبيعة الانسان النائم •

وبعد ان استيقظ السروجي وسر بلقاء صاحبه الحارث سارا سرية وقضيا وقتا طيبا في التناجي بالاشعار وعلوم الادب وغيرها ، قال الحارث : حتى ادانا السير ، ألى قرية غرب عنها الخير ، فدخلناها للارتياد ، وكلانا منفض من الزاد فما ان بلغنا المحط والمناخ المختط ، او لقينا غلام لم يبلغ الحنث ، وعلى عاتقه ضغث ، فحياه ابو زيد تحية المسلم ، وسأله وقفة المفهم ، فقال وعم تسال وفقك الله • قال ايباع ههنا الرطب ، بالخطب ، قال لا والله ، قال ولا البلح بالملح ، قال كلا والله ، قال ولا التمر ، بالسمر قال هيهات والله قال ولا العصائد بالقصائد قال اسكت عافاك الله ، قال ولا الثرائد بالفرائد ، قال اين يذهب بك ارشدك الله ••• الخ •

استطاع الواسطي وفي صفحة واحدة من المخطوطة ان يصور القرية وما يدور فيها من فعاليات مختلفة وما امتد امامها من بحيرة ماء ترى على جوانبها ماعز ، كما جعل الرفيقين في مقدمة التصويرة وهما على ناقتيهما يكلمان الغلام • ونرى ولاول مرة صورة النخلة حيث ورد كلام حول الرطب والبلح ومن المشاهد هنا صورة امرأة تغزل ورجل يحمل مساحته على كتفه وسيدة اخرى تبيع الخبز وثالثة مع ابنتها ومن ابنية القرية الظاهرة هنا المسجد ذو القبة الزرقاء والمئذنة الاسطوانية الجميلة المزين بدنها بشريط من الكتابة الكوفية وكذلك جدار المسجد فالصناعة والزراعة والتجارة مترجمة هنا ، وهذه هي الفعاليات الاقتصادية التي تقام في اية قرية • (لوح ٤٤) •

وكانت الجمال تستعمل بالدرجة الاولى لنقل الحجاج الى بيت الله الحرام•

ففي منمنمة من منمنمات الواسطي (لوح ٤٥) نرى قافلة حجاج ، وعلى الاكثر ان هذه القافلة تحمل معها الكسوة التي ماعتاد الخليفة ان يرسلها سنويا الى الكعبة الشريفة ، وما زالت هذه العادة جارية في مصر • والتصويرة هذه توضح جملا من المقامة ٣١ الرملية ، حيث رافق الحارث قافلة انطلقت من الرملة الى الديار المقدسة رفع الحجاج هنا الاعلام ونفخوا في الابواق وضربوا على الطبول • ونشاهد امل الحجاج في عيونهم التي تنظر بعيدا وتعبر عما يجيش في نفوسهم من فرحة وايمان بزيارة قبر الرسول الاعظم والكعبة الشريفة • وقبل وصولهم الى مكة حطوا الرحال في قرية : قال الحارث فحللناها متأهبين للاحرام ، متباشرين بادراك المرام ، فلم يك الا ان انخنابها الركائب ، وحططنا الحقائب حتي طلع علينا من بين الهضاب ، شخص ضاحي الاهاب ، وهو ينادى يا اهل ذا النادى ، هلم الى ما ينجي يوم التنادى ، فانخرط اليه الحجيج وانصلتوا ، واحتفوا به ، فلما رأى تألفهم حوله ، واستطعامهم قوله ، تسنم احدى الاكام ثم تنحنح للكلام •• الخ • رسم الواسطي هذه الجمل الوصفية بتصويرة جميلة عبر بها عن الهضاب وواقع السروجي والحجاج (لوح ٤٦) ، ووزع الاشخاص في الفسحة المخصصة للمنمنمة • وظهرت بساطة الرجال والنساء في ملابسهم وخشوعهم فاستغل السروجي ذلك ونال منهم مطلبه •

وقلما نجد السروجي في وضع مالي جيد في هذه المقامات • ولكن الواسطي اختار عبارات من المقامة ١٤ ، المكية ، ووضحها بمنمنمة جميلة نشاهد فيها السروجي صاحب مقام رفيع (لوحة ٤٧) • ويروى الحارث انه غادر سوقي الاهواز وبعد مرحلتين ، قال : تراءت لي خيمة مضروبة ، ونار مشبوبة ، فقلت أتيهما لعلي انقع صدى ، أو أجد على النار هدى ، فلما انتهيت الى ظل الخيمة رأيت غلمة روقة وشاره مرموقة ، وشيخا على بزة سنية ، ولديه فاكهة جنية فحييته ثم تحاميته ، فضحك الي ثم احسن الرد علي ، وقال الا تجالس الى من تروق فاكهته ، وتشوق مفاكهته ، فجلست لاغتنام محاضرته لا لالتهام مابحضرته •• الخ • ظهر السروجي هنا جالسا على تخت وعليه ملابس أو بزة سنية وتحيط برأسه هالة • ظهر الوقار على السروجي كما ظهر الحارث بمظهر المقدر لمقام الشيخ • وظهر معهما عدد من الخدم او اتباع صاحب الخيمة • زين الواسطي الخيمة بزخارف نباتية جميلة ثم زخرف بزة السروجي بزخارف نباية كذلك وحلى الثوب بمعاضد • ولم يكثر الواسطي من رسم الخيم في منمنماته على الرغم من انه صور مناظر برية كثيرة تبين ارتحال القوم وحط رحالهم ولكن معظم هذه المناظر بدون خيم • وهناك تصويرتان اخريتان فقط جعل الواسطي الخيمة تظلل جمعا من الناس • وفي واحدة منها (لوح ٤٨) نرى السروجي يبكي على ضياع بلدة سروج • بعد ان سئل من جماعة من الناس ، استدر عطفهم ونال منهم ، عن بلده ، فتنفس تنفس من ادكر اوطانه وانشد والشهيق يلعثم لسانه :

سروج داری ولكـــن كيف السبيل اليهـــا
وقـد اناخ الاعـــادى بهـا واخنوا عليهـــا
افو التي ســرت ابغي حط الذنوب لديهـــا
ما راق طرفي شــيء منذ غبت عن طرفيهـــا

ثم اغرورقت عيناه بالدموع ، وادنت مدامعة باللموع ، فكره ان يستوكفها ولم يملك ان يكفكفها ، فقطع انشاده المستحلى ، واوجز في الوداع وولى ٠

طغت الزخارف النباتية المتنوعة التي تزين الخيمة على بقية الرسوم في هذه المنمنمة وبسهولة يمكن تشخيص الحارث من بين الجالسين فهو الثالث مــن جهة اليمين صاحب الثوب المزخرف ٠ أما السروجي فيظهر هنا هزيلا على خلاف مظهره في معظم المنمنمات فهو ذلك الكهل البدين المتوسط القامة ٠ وهنا يمـد السروجي نظره بعيدا وقد بدى عليه الالم واليأس ، فكسب عطف الحاضريـــن وتألموا لالمه ٠

رسوم المناظر البرية

ولم يتبع الواسطي في رسم الكهف نفس الطريقة التي اتبعها في رســم الخيمة ٠ فانه حدد فوهة الكهف بشريط نباتي ورسم على جانبي الفوهة فـــي الاعلى تلول صغيرة اراد ان يعبر بها عن طبيعة المكان الذى التجأ اليه السروجي وتلميذه بعد ان القى خطبة في مدينة صنعاء وجمع من المال ما يكفيه وكــان الحارث من بين الحاضرين فشك في امر الخطيب وتبعه ، حتى انتهى الى مغارة فانساب بها على غراره ، ٠٠ ثم هجمت عليه ، فوجدته مثافنا تلميد ، على خبـز سميد ، وجدى حنيذ ، وقبالتهما خابية نبيذ ، فقلت له يا هذا ايكون ذاك خبرك وهذا مخبرك ، فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ ، ولم يزل يحملق الي ، حتى خفت ان يسطو على ٠٠الخ ٠ (المقامة الاولى ، الصنعائية) ٠روى الحارثذلك ووضح الواسطي ذلك بنمنمة (لوح ٤٩) جمع فيها بين شكل الكهف والجـدى المشوى وخابية النبيذ والحارث والسروجي والتلميذ ٠ ونقل الواسطي وبدقـة الانفعالات النفسية التي ظهرت على ابي زيد وتلميذه بعد معاتبة الحارث لهمـــا على فعلتهما ٠ ووضع السروجي وتلميذه نوع معين من غطاء الرأس استعمل في عدد قليل من هذه المنمنمات ٠ وهو عبارة عن قلنسوة يتقاطع عليها شريط بهيئة صليب ٠

يطوف بنا الواسطي في منمناته من الصحراء وهضابها والجبال وكهوفها الى الانهار والبحار ٠ اختار الواسطي من المقامة ٢٢ ، الفراتية ، عبـــــارات يرويها الحارث بن همام حين عاشر قوما عرفوا بالثراء والوجاهة فرافقهم فـــي رحلة بنهر الفرات قال : فاتفق ان تدبوا في بعض الاوقات لاستقراء مـــزارع الزرداقات فاختاروا من الجوارى المنشات ، جارية حالكة الشيباب ، تحسبهـــا جامدة وهي تمرمر السحاب ، وتنساب في الحباب كالحباب ، ثم دعونـــي الى المرافقة ، فلبيت بلسان الموافقة ، فلما توركنا على المطية الدهماء ، وتبطنـــا الولية الماشية على الماء ، الفينا شيخا عليه سحق سربال ، وسب بال ، فعافت

الجماعة محضرة وعنقت من احضره ٠٠ الخ ٠

حول الواسطي هذه الجمل الى منمنمة بديعة لها اكثر من اهمية من الناحية التاريخية والفنية ٠ فنرى هنا الزورق المائي حيث لانعرف شكله بالضبط بل نعرف اسمه ٠ ونرى كذلك الطريقة الخاصة التي يرسم بها الماء ونرى من خلال امواجه اسماك تسبح وهذه الصيغة الفنية او العنصر الفني موروث حيث نجد اقدم امثلته في الفن الاشوري حيث نرى السمك بين امواج الماء التي عبر عنها باشرطة تلتف وتلتوى وتكون ما يشبه تجمع الديدان ولكن زرقتها الصافية وخطوط بياضها تجعلها معبرة عما اراد المزوق (لوح ٥٠) ٠

وتختلف السفن البحرية عن الزوارق النهرية لاختلاف الغاية من استعمالهما وكمارسم لنا الواسطي شكل الزورق المائي، الذى كان منه المئات فيدجلة_بغداد تستعمل لعبور الناس بالرغم من وجود جسرين فيها ، صور لنا السفينة البحرية حيث اختار فقرات المقامة ٣٩ ، العمانية ، التي يروى فيها الحارث انه بعد ان ضجر من السفر في البر والنهر قرر ركوب البحر فاتجه نحو الخليج العربي وقبل ان تبحر السفينة سمع القوم صوت مناد ينادى ويطلب السفر معهم ، فلم يمتنعوا من ضمه اليهم ٠ رسم الواسطي السفينة في عرض البحر الذى عبر عنه بحوض ماء يحيط به شريط من الحشائش وتسبح فيه الاسماك كما اظهر اجزاء المركب حيث ظهرت روءوس المسافرين من شبابيكه وبان النوتية وهم منشغلون في السيطرة على الشراع وتفريغ الماء من داخل المركب ٠ لون الواسطي بشرة النوتية بلون داكن تفريقا لهم عن المسافرين وتمشيا مع واقع لون الناس في منطقة الخليج العربي (لوح ٥١) ٠

سارت السفينة وقد اخلت الطريق وفجأة وجد المسافرون مركبهم على شاطيء جزيرة لا يعرفونها وروى الحارث ذلك حين قال : الموج جاء من كل مكان فملنا لهذا الحدث الثائر ، الى احدى الجزائر لنريح ونستريح ، ريثما تواتي الريح ، فتمادى اعتياص المسير ، حتى نفذ الزاد غير القليل ٠٠ الخ ٠ اختار الواسطي هذه العبارة فرسم منمنمة توضحها (لوح ٥٢) ، فرسم البحر كما في المنمنمة السابقة واظهر مقدمة السفينة التي نستطيع ، لدقة الواسطي ، ان نرى العقارب ، اى القضبان الحديدية التي كانت تستعمل لربط الواح خشب السفينة مع بعضها ٠ ويظهر ان الواسطي كان متأثر بالاساطير التى تروى عن جزر الخليج العربي وبحر عمان حيث الطيور المتكلمة والحيوانات ذات الوجوه الادمية والغابات الكثيفة ٠ جعل الواسطي الجزيرة مغطاة بغابة من الاشجار على اغصانها قردة وببغاء وطيور مختلفة منها واحدة بوجه ادمي وحيوان مجنح وبوجه ادمي ايضا ٠ وهذا المنظر من اجمل المناظر البرية في تصاوير الواسطي ٠

وبعد ان نفذ الزاد وتعرف الحارث على المناد وهو صاحبه ابو زيد السروجي سار الاثنان في طلب الزاد وبعد مسيرة طريق طويلة وشاقة وجد الحارث ورفيقه انفسهما امام قصر مشيد له باب من حديد وامامه زمرة من عبيد ظهر الاسى والحزن على وجوههم وبعد الحاح من السروجي اجاب احد العبيد بانهم في

حزن شامل وذلك لان زوجة صاحب القصر وهو مالك الجزيرة تعاني مـــن العسر ، والحاكم في قلق لان لا ولد له وهو خائف ان على الاصل والفرع ٠ ولما سمع ذلك السروجي قال : اسكن ياهذا واستبشر وابشر بالفرج وبشر ، فعندي عزيمة الطلق ،التي انتشر سمعها في الخلق ، فتبادرت الغلمة الى مولاهـــم ، متباشرين بانكشاف بلواهم ٠ فامر الحاكم بدخولهم واستعجل السروجي فـــي عمل عزيمة الطلق ، فباشر السروجي بعملها ٠٠ الخ ٠ وضح الواسطي العبارة الاخيرة من هذا المقطع من المقامة (لوح ٥٣) حيث ظهر السروجي وهو يكتـــب ، عزيمة الطلق ، وظهر معه في الطابق الاول من القصر ، الذي شاهدنا واجهتـه في منمنمة سابقة ، اما الحاكم ومرافقوه فقد جلس على عرش يتناسب ومكانته وجلس الحارث في الجانب الاخر من الطابق الاول وهو يدعوا الله ان ينجـح تعويذة السروجي ٠ وفي الطابق الارضي ظهرت السيدة زوجة الحاكم في وضع الولادة تسندها امرأتان اخريان واقفتان على الجانبين ٠ جعل الواسطي السيدة مكشوفة الجسم ٠كما انه لون بشرة الناس في قصر الحاكم بلون داكن وظهـر الحاكم مرتديا لباسا خاصا يكشف عن اجزاء من جسمه ونثر الواسطـــي الزخارف النباتية الدقيقة على عرش الحاكم وستائر الغرفة التي خصصت للسيدة زوجة الحاكم ٠

ولم يتردد الواسطي عن تصوير بعض مناطق الجسم والكشف عن اعضاء التناسل عند المرأة والرجل ، ففي المنمنمة السابقة صور منظر الولادة وكانـه طبيب في مستشفى ولادة حيث نقل منظر من الصعب على معظم الرجـــــال رؤيته ٠ وكما صور المرأة في وضعية الولادة ، صور السروجي وهو ينـــزل سرواله ويكشف عن غرموله (لوح ٥٤) ٠ وهذه المنمنمة توضح مقطعا من المقامة العشرين ، الفارقية ، التي يرويها الحارث بن همام فيذكر انه كان في نادمع جمع من الاصدقاء فدخل عليهم شيخ وشكى لهم شعرا من ميت يريد دفنه ولكنه لايملك من المال للقيام بذلك ٠ وكشف الحارث ان طالب الجميل هو السروجي ولا بد من لعبة في الامر ٠ فلما انصرف الشيخ تبعه السروجي وفي خلوة قال له: والله مالك مني ملجأ ولا منجي ، او تريني ميتك المسجى فكشف عن سروالـه واشار الى غرموله فقلت قاتلك فما اللعبك بالنهي واحيلك على اللهي ٠٠ الخ ٠

عبر الواسطي عن اشمئزاز السروجي من طلب الحارث وبعد تلبية الطلب صدم الحارث فاكفهر وجهه ٠

ومن المقامة ٣٢ ، الطيبية ، اختار الواسطي عبارة قالها الحارث بحـق السروجي بعد ان وجدة قد أجاب على مئة سوءال ونال هدية القـــوم ، ذود وقينة ٠ وعندما هم السروجي لمغادرة المجلس وعلى بعيد خطوات منه اعترضه الحارث وقال له : عهدى بك سفيها ، فمنى صرت فقيها ، فظل هنية يجول ثم انشد يقول :

لبست لكل زمان لبوسا ولابست صرفيه نعمى وبوســـا
وعاشرت كل جليس بمـــا يلائمه لاروق الجليســـا

فعند الرواة أدير الكـلام وبين السقاة أدير الكوءسـا
وطورا بوعظي أسيل الدمـوع وطورا بلهوى أسر النفوسا
... الخ

رسم الواسطي اللحظة الحرجة من الملقى فالحارث يرمي اتهامه بجـد والسروجي يستهزء بالاتهام ويبرره . (لوح ٣٤) . التفت السروجـي الى صاحبه وانشد اشعاره التي تكشف عن حقيقة فقيه العرب وتمكنه من الظهـور بالمظهر اللائق في كل مناسبة ولم يغب عن بال الواسطي ان يكمـل التصويرة برسم شجرة تفصل بين الاثنين وجعل الارضية شريط مـن النباتات المزهرة . ان رسوم الاشجار والنباتات ثم المناظر البرية أو الطبيعية من جبال ومياه وما يعيش فيها وينمو عليها لها دور واضح في منمنمـات الواسطي . وهو يستغل الاشجار بصورة خاصة ليجعل منها حجر زاوية فـي بعض التصاوير ويقوم بتوزيع العناصر او الرسوم على جانبيها او يجعـل منها حاجزا يفصل الرسوم الادمية وصور الحيوانات والدور عن النص فتظهر وكأنها اطار أو أطر تفصل الرسوم عن النص . أما الحشائش والنبـاتات فتستغل للتعبير عن الارضية . وكان الواسطي مغرما في رسم الحشائـش أو النباتات المزهرة مما يضفي شيئا من السرور والبهجة الى التصويـرة . واستعمال رسوم الاشجار والحشائش بهذه الطريقة ، صفة مهمة من صفـات المدرسة العربية . وتتفاوت العناية بهذه الرسوم بين رسام واخر هنا . ولكن رسوم الاشجار في منمنمات الواسطي ، أو المناظر البرية بصورة عامة ، لها دور ونجد في بعض المنمنمات مناظر برية فعلية تلقى الضوء على اهتمـام الواسطي بها وتمكنه في رسمها . ونستطيع ان نشخص العديد من الاشجـار والنباتات في هذه الرسوم ومنها شجرة البرتقال والنخيل والرمان وغيرها .

وفي هذه المنمنمة نرى الطريقة الخاصة التي رسم بها ساق هذه الشجرة ولها نظائر في منمنمات مخطوطة من كتاب الحشائش لديوسقوريدسـس ، موءرخة ٦٢١ هـ/١٢٢٤ م وتنسب الى بغداد ومحفوظة الان في مكتبة جامـع ايا صوفيا في اسطنبول تحت رقم (٣٧٠٣) . ظهر الحارث بوجهـه المعروف والسهل التشخيص في كل منمنمة ، والسروجي ، بوجهه الماكـر الخداع والمعروف جدا في جميع المنمنمات ، بملابسهما الكاملة وابـدع الواسطي في رسم طيات الملابس ، وهذه التصويرة من بين التصاوير القليلـة التي لم تنفض الوانها . فكلاهما اعتمر بعمامه وجلباب جميل ثم شملـة فاخرة وحذاء جيد . كما نرى هنا الملابس العربية التي يشار اليها في المقامات وتوصف . اثواب عريضة ذوات أكمام واسعة ، وشملات توضع على الاكتاف وعمامة بذوءابة او بدونها هي الملابس الشائعة في ذلك الوقت .

وكما عهدنا الواسطى يبرز حيلة ابو زيد او وسيلته فى هـذه الحيلـة ويسلط الاضواء عليها ، ثم يصور الجو النفسى الذى يتكون عندما يظهـر

السروجي متطفلا على جلاس طرب او عشاق خمرة ، أو طلاب كتـــاب ، أو مشيعي ميت ، أو مغتر بسطوته أو علمه ، ويعبر عن الانفعالات النفسية التي تظهر على وجوه الاشخاص . وهذه صفة الواسطي وتمكنه الفني . فالتعبيرية في رسومه بارزة جدا وقد فاق كل مزوقي المدرسة العربية في هذا المجـــال وفي منمنمة من منمنماته ركز الواسطي فيها على اظهار قزل السروجي وعـــلى ردود الفعل والصدمة على الذين سلم عليهم السروجي . وهذه المنمنمة توضح مقاطع من المقامة الثالثة ، الدينارية . يروى الحارث بن همام ان ذهب الى ناد ، لم يخب فيه مناد ، ولا كبا قدح زناد ، ولازكت نار عناد فبينما نحن نتجاذب اطراف الاناشيد ، ونتوارد طرف الاسانيد ، اذ وقف بنا شخصـــ عليه سمل ، وفي مشيته قزل ، فقال يا أخاير الذخائر ، وبشائر العشائـــر عموا صباحا ، وانعموا اصطباحا ، وانظروا الى من كان ذا تدى ونـــدى ، وجدة وجدا ، وعقار وقرى ، ومقار وقرى ... حتى صفرت الراحة ، وقرعت الساحة ، وغار المنبع وبنا المربع .. الخ .

صور الواسطي السروجي وهو يتكي على عصاة كما اظهر القزل فـــي مشيته (لوح ٣٥) وجعل المجتمعون يتألمون من شكواه عندما وضح لهم احوالـــه قبلا والان . ظهرت بين الجلاس امرأة تتوسط القوم وتشاركهم النقاشـــ والتعجب من الذى وقف امامهم . وكما في المنمنمة السابقة اتخذ الواسطـي الشجرة مركزا للتصويرة وجعل القوم يستظلون بظلها . ولكن النسبة بيـن الرسوم الادمية والشجرة غير طبيعية . وهذه كذلك صفة مهمة من صفـات المدرسة العربية في التصوير الاسلامي . لم يلفت الرسامون الى هذه الناحية ى مراعاة النسب بين رسوم الانسان وما يحيط به من رسوم معماريـــة أو برية . يظهر الانسان دائما بحجم اكبر مما هو اذا قورن في الواقع بمـــا يحيط به .

وقلما نجد ملابس مقلمة أو بالاحرى ثوبا مقلما في رسوم الواسطي وهو في اكثر الاحيان يصور الملابس بدون اظهار الزخارف التي تزين القماشـــ ويستعيض عن ذلك باظهار طيات الملابس وعند التركيز على ابراز اطـــواء الاثواب من الصعب جدا رسم الزخارف التي تزين الاقمشة . ومع ذلك فـــأن الواسطي زين الكثير من الثياب بزخارف كتابية جميلة جدا ونباتية دقيقـــة وهندسية متقنة . وفي منمنمة واحدة على الاقل نرى ثوبا مقلما (لـــوح٣٦) حيث ارتداه شخص يتوسط جماعة من الرجال ، هم المجتمع الذى ثمن علـم وقفة الرجل العجوز الذى حشر نفسه بينهم وحصل منهم على مطلبه . وهـــذه المنمنمة توضح جملا من المقامة ١٧ ، لقهقرية . لم يكن السروجي هو الخطيب في هذا المجتمع ، بل هناك شخص اخر وقف يخطب فميهم وجلس السروجي في اخريات الناس يستمع مع السامعين الى اقوال الرجل . أما الحـــارث فيناظر السروجي على الطرف الاخر من التصويرة والكن التفريق بينهما هـــو

اللحي ، فالسروجي ابيض اللحية دائما والحارث اسودها ٠ واستظل القوم هنا بشجرتين بينما وقف الخطيب بينهما ٠

ودائما يتقيد الواسطي بعدد الاشخاص الذين يرسمهم عندما يشار الى عددهم في النص أو الجمل التي يوضحها ويكشف ذلك ٠ عن ان الواسطي كان يفهم وبعمق محتوى المخطوطة اخرى وزوقها ويدل كذلك ان الصيغ الفنية التي استعملها الواسطي لم كن مستنسخة من مخطوطة أخرى مزوقة بل هي اطلاع الواسطي على صيغ واساليب المدرسة الفنية المزدهرة انذاك أو الطراز الفني المنتشر في انحاء العالم العربي الاسلامي ٠ ففي عبارات من المقامة ٣٦ ، الملطية ، يذكر الحارث انه تعرف على تسعة من الرجال قرروا الاستمتاع بنزهة على تل من تلول مالطة ٠ نفذوا الفكرة وجلسوا يتجاذبون اطراف الحديث تحت ظل شجرة فتقدم منهم شيخ وشاركهم الحديث واعجبوا ايما اعجاب بسعة اطلاعه ولباقته ٠ ظهر في التصويرة (لوح ٣٧) احد عشر رجلا جلسوا القرفصاء على بساط مزين بدقة برسوم أو زخارف نباتية ٠ كما وضع الوسطي في الطرف الثاني من المجتمع رجلا عجوزا يتناظر في الملامح وطريقة الجلوس مع السروجي ، ومع ذلك جعل الواسطي بشرة السروجي بلون يختلف عن لون الشخص المشابه له ٠ التصويرة معبرة وتناسب قوة العبارة الموضحة وتعبر عنهاتعبيرا صادقا ٠

وامتد التنوع في منمنمات الواسطي حتى الى اشكال الزخارف التي تزين الالات والادوات المنزلية التي تظهر في هذه الرسوم ٠ فكما ذكرنا لم يترك الواسطي اى فراغ الا واستغله لاظهار قابليته في فن الزخرفة والرسم فاستغل الستائر والملابس وحتى العمائم والمساند ، والبسط فزينها بزخارف نباتية متنوعة ودقيقة ورسوم هندسية متقنة وممتزجة مع رسوم اخرى وكتابات كوفية بسيطة ومورقة ومزهرة ٠ ففي المنمنمة السابقة زين الواسطي البساطبزخارف نباتية وكذلك ثوب الشخص الاول من جهة السروجي ٠ وفي منمنمة اخرى زين البساط (لوح ٣٨) ٠ بوحدات من الزخارف الهندسية ٠ وهذه الوحدات الزخرفية التي كانت سائدة او انذاك وهذا واضح من مجموعة الاثار التي وصلت الينا من ذلك العصر ٠ وهذه التصويرة تشرح منظر من مناظر المقامة ٤٢ ، النجرنية ٠ عندما يروى الحارث بن همام قصة ذهابه الى ناد من نوادي نجران فيقول : فبينما انا في ناد محشود ، ومحفل مشهود ، اذ جثم لدينا هم ، عليه هدم ، فحيا تحية ملق ، بلسان ذلق ثم قال يابدرو المحافل وبحور النوافل ، قد بان الصبح لذى العينين ، وناب العيان مناب عدلين ، فماذا ترون فيما ترون ، اتحسنون العون أم تناوءن ، اذ تدعون ، فقالو تالله لقد غظت ، ورمت ان تنبط فغضت فناشدهم الله عماذا صدهم ، حتى استوجب ردهم ٠٠ الخ ٠ رتب الواسطي القوم هنا في صفين وجعل البساط في مقدمة التصويرة ٠ وظهر السروجي على طرف منه ٠ ويظهر ن الواسطي اختار غضب

المحتفلين ليعبر عنه هنا • ظهر الامتعاض هنا من تطفل الشيخ • وربط الواسطي بين الشيخ والجماعة الذين امامه بما انتابهم من ضجر من وقاحة الشيخ • ونجح الواسطي في ذلك ايما نجاح •

ونلاحظ هنا تنوعا واضحا في سحن الاشخاص ، ففي كل تصويرة يحرص الواسطي على ان يجعل فيها اناسا في مختلف الاعمار ويلون وجوههم بالوان مختلفة للتعبير عن لون بشرتهم •

مدرســة الواسـطي

مما تقدم نستطيع القول ان يحيى بن محمود الواسطي كان رسام مبدع ومن المحتمل جدا انه زوق اكثر من نسخة من المقامات الحريرية او غيرها من امهات الكتب العربية • والتصاوير التي حلى بها هذه النسخة النفيسة والتي تعد اربع وتسعون لوحة تعد من أروع اللوحات الفنية التي وصلت الينا من ذلك العصر ، وتعتبر بالاضافة الى ذلك ، وثائق تاريخية مهمة تلقى الاضواء على كثير من جوانب الحياة في ذلك العصر • وتتجسم فيها ايضا جميع السمات الفنية التي تميز المدرسة العربية في التصوير الاسلامي عن غيرها من المدارس التصويرية • ويكشف هذا عن سعة اطلاع الواسطي وتمرسه في هذا الفن من الفنون • فنجد في لوحات الواسطي الاسلوب المسطح ، أذا ما اخذ الطراز بنظر الاعتبار ، والتعبيرية التي لاتصدق ، فنراه يشرح الانفعالات النفسية بطريقة يستطيع المشاهد ان يفهم الجو النفسى المسيطر في التصويرة ، وبحق وصفت العيون هنا بالعيون الناطقة ودعيت الاصابع بالاصابع المتكلمة وتوازي التعبيرية ، في لوحات الواسطي ، الواقعية حيث نقل لنا وبصدق ما كان يشاهد في مجتمعه من مساجد ومدارس واجتماعات عامة وخاصة وغيرها من مظاهر الواقع الاجتماعي الذى كان يعيش فيه ، واعتمادا على هذه الصفة نسبت التصاوير الى بغداد وساد الاعتقاد بان الواسطي كان يعمل هناك • والمنمنمات ، ما عدا تصويرة الغرة ، ترسم مباشرة على الصفحة اى بدون خلفية أو ارضية ولا تحاط باطار يفصلها عن النص • وهذا التكنيك له مبرره وهو ان هذه التصاوير رسوم توضيحية فلا داع لاطار يفصلها عن النص أو خلفية تختلف عن خلفية النص • لعب الرسوم الادمية الدور المهم في هذه المنمنمات ونقل الواسطي في لوحاته مناظر خلابه من حياة القوم ، كما اعتنى عناية كبيرة في الرسوم المعمارية ورسوم الحيوانات والمناظر البرية ، وفي منمنماته تنوع كبير في الصيغ والعناصر الفنية وهذا يدل على انه كان واسع الاطلاع ، كما ذكرنا ، ويعمل في عاصمة العالم الاسلامي ، ملتقى

التيارات الفنية والحضارية وفيها احاد الدهر ورئيس كل صنعة كما وصفها ياقوت • ولا يمكن ان يكون الواسطي الا كبيرا ورئيسا لصنعته التزويق ، فله المام باثر الالوان على النفس وله يد ماهرة في ملء الفراغ وقابلية لاتصدق في صناعة الزخارف • فاكثر منها ونوعها ونقل لنا ماكان للزخارف النباتية والهندسية والكتابية من اهمية كبيرة فى الفنون العربية الاسلامية ويظهر ان الواسطي كان له المام بما للالوان من أثر على النفس ، فاختار الالوان المفرحة والبهيجة ، والجذابة ، كما مزج ودرج الوانه ومال الى الازرق والاخضر والاحمر والاصفر والبني والذهبي وغيرها •

ودراسة الوحدات الزخرفية التي تزين العمائر والاثاث والملابس والادوات المختلفة تكشف عن ان الواسطي لم يكن رساما من الدرجة الاولى فقط بل مزخرفا فنانا له يد سحرية في صياغة الوحدات الزخرفية وتنفيذها ووضعها في المكان المناسب لها • واستعراض هذه اللوحات يضع امامنا اشكال كثيرة من هذه الوحدات خصوصا الوحدات الزخرفية النباتية فهناك ما يزيد على ٢٢ نوعا من هذه الوحدات (شكل ١) والتي تظهر احيانا على مستويين او تتشابك وتتعانق مع وحدات زخرفية هندسية أو كتابية وتضم في الفراغات الناتجة من التفافها والتوائها رسوم حيوانات وطيور واجمل ما يمثل ذلك الزخارف التي تشكل الاطار الاول الذى يحيط بتصويرة الغرة (شكل ٢) ، حيث ابدع الواسطي في تحشية الفراغات هنا برسوم حيوانية وصور طيور متقنة ونستطيع ان نسمى الحيوانات هنا فالارنب والغزال ، والثعلب والنمر ، وابن آوى ، هي الحيوانات التي نشاهدها في هذا الشكل •والمزج بين العناصر الحيوانية والزخارف النباتية يمثل قمة ما وصل اليه فن الزخرفة عند العرب المسلمين • أما الوحدات الزخرفية الهندسية ففيها تنوع ودقة واتقان وانصهار أو انسجام مع الزخارف الاخرى خصوصا النباتية وابرز هذه الوحدات الزخرفية مبينة في الشكل الثالث • أما الزخارف الكتابية فان فيها تنوع كذلك فاستعمل الواسطي الكتابة الكوفية البسيطة والمورقة والمزهرة المحفورة على ارضية من الزخارف النباتية وهذه نماذج من الزخارف الكتابية التي استعملها الواسطي (شكل ٤) • وهذا التنوع في الخطوط والدقة في اتقان اشكالها يدل ان الواسطي كان متمرسا بفن الخط كذلك •

ولا ننسى هنا ان نذكر ان الواسطي قد مارس حرفة التذهيب وبرع بها فجعل وقفات الجمل في نسخة مقامات الحريرى التي نسخها وزوقها ، بشكل وريدة مذهبة سداسية الفصوص ، كما جعل عناوين المقامات بحروف كبيرة بالذهب محددة بمداد اسود ، كما استعمل الذهب للمعاضد وفي اجزاء أو مناطق كثيرة من هذه المنمنمات واستعمال الذهب بهذه الطريقة اعطى لهذه النسخة اهمية كبيرة ودل على ان النسخة قد عملت لصاحب مكانة كبيرة لهمن

المال ما جعله ان يستعمل الذهب في نسخته النفسية من المقامات الحريرية وعلى ضوء ذلك نستطيع القول ان الواسطي كان رساما وخطاطا ومذهبا ومزخرفا زعيما لمدرسة في التصوير الاسلامي ، اطلق عليها اسماء مختلفة ، هي المدرسة البغدادية ، مدرسة ما بين النهرين ، المدرسة العباسية ، المدرسة السلجوقية ، والمدرسة العربية ٠

اسم المدرسة

ودافع كل من اطلق على مجموعة المنمنمات ، التي انتجت خلال الربع الاخير من القرن الثاني الهجري والنصف الاول من القرن التابع له في العالم العربي الاسلامي ، عن الاسم الذى وضعه عنوانا لها وبرره ٠ فبغداد عاصمة لعالم الاسلامي ، ومركز الاشعاع الحضارى فيه ، وبها اشهر الفنانين والصناع ونجد في هذه المنمنمات الصيغ والاساليب والعناصر الفنية التي نضجت في بغداد تحت رعاية الخلفاء وان هذه المرسة تمثل اتجاهات التصوير الاسلامي في أواخر العصر العباسي حيث اشرقت حضارة يانعة كان مركزها بغداد (٣٦) ٠ واكثر من ذلك ان احسن الامثلة أو المنمنمات تنسب الى بغداد ، ويحتمل جدا ان هذه الامثلة كانت تقلد في المدن المهمة التي كانت عواصم الممالك والسلطنات في العالم الاسلامي (٣٧) ٠ ويعترض البعض على هذه لتسوية فيقولوا ان بغداد لم تكن المدينة الوحيدة التي انتجت فيها جميع هذه المنمنمات كما ان حصر التسمية باسم مدينة واحدة قد لايجلب الانتباه الى كل الصفات الفنية البارزة لهذه المجموعة من التصاوير (٣٨) ٠

ومن هذا المنطلق الجغرافي فان اطلاق أو نعت هذه التصاوير باسم مدرسة ما بين النهرين تظهر اكثر انسجاما مع طبيعة هذه التصاوير ، فمن بلاد ما بين النهرين انتشر تكنيك واسلوب هذه المدرسة الى الاقطار المجاورة (٣٩) واعترض ارنولد كذلك على هذه التسمية حيث لايجوز حصرها باقليم واحد مع العلم ان قسما من منمنماتها او تصاويرها قد نسبت الى سوريا وشمالى افريقيا والاندلس (٤٠) ٠ وأذا ما اعتبر الواقع الجغرافي في نعت هذه المدرسة فانه من الافضل ان يشمل الاسم كل المنطقة الجغرافية التي ازدهرت فيها هذه المدرسة ، ونعني بذلك العالم العربي الاسلامي ٠

---

36) De Lorey, L'Ecole, in Gazette des Beaux-Art, p. 8.

(٣٧) زكي محمد حسن ـ مدرسة بغداد ـ سومر ـ ج ١١ ـ ١٢ ص ١٨٠

38) Arnold, Painting in Islam, p. 58.

39) Blochet, Musulman Painting, pp. 25-33.

40) Arold and Grohmann, The Islamic Book p.64.

واستند بعض مؤرخي الفنون الاسلامية على القول الذى يعتبر الفـــن الاسلامي فن الطبقة الحاكمة ففضلوا دعوتها باسم المدرسة السلجوقيـــة · وذلك لان هذه التصاوير قد انتجت في المدن التي كانت تحت السيطـــرة السلجوقية ، وبغض النظر عما اذا كان المزوقون من العرب ام من الايرانيين لذلك تظهر هذه التسمية مقنعة بالتأكيد (٤١) ·

والظاهر ان صاحب هذه التسمية يعتقد ان السلاجقة مازالوا يسيطرون على اجزاء كبيرة من العالم الاسلامي · ولكن كتب التاريخ تذكر ان الخليفـــة الناصر لدين الله العباسي قد حرر العراق منهم سنة ١١٩٤م وانتهى حكمهم في سوريا سنة ١١١٧م وزالت سلطتهم حتى في ايران على عهد محرر العراق والعالم الاسلامي الناصر لدين الله · ونضيف الى ذلك ما قاله احد المستشرقين المشهورين عن السلاجقة : ان السلاجقة كسلالة بشرية لم تبدع او تبتكر اى دين او فلسفة او ادب يحمل طابع عبقريتهم الشخصية · وذلك لان الابداع الحقيقي للسلالة يكمن في العمل او الانتاج لافي الخيال (٤٢) · ويكمل مؤرخ اخر قول المستشرق السابق فيقول : ان السلالة التركية لم ترى عبقريـــة اصيلة (٤٣) · ودعيت كذلك بالمدرسة العباسية نظرا للدور الكبير الذى لعبه الخلفاء المتأخرون من العباسيين في رعايتهم للعلم والعلماء وتشجيع الثقافـــة والادب · ويعترض على هذه التسمية بان هنالك ممالك وسلطنات اخرى رعى ملوكها وسلاطينها الفنانين والعلماء والادباء وانتجت في عواصم اقاليمهم بعض تصاوير هذه المدرسة خصوصا في القاهرة ودمشق وحلب وسبته التي كانت تحت سلطة لايوبيين والاتابكة ، والموحدين فهناك اكثر من سلطة سياسيـة تحكم الاقاليم التي ازدهرت بها هذه المدرسة في التصوير · واطلاق هـــذه التسمية قد يسبب ارباك وخلط بين الاسلوب او المدرسة العباسية التـــي ازدهرت خلال العصر العباسي الاول وهذه المدرسة ·

واستنادا الى الاعتراضات الواردة على التسميات السابقة فان افضــل تسمية تلك التي تأخذ بعين الاعتبار الرقعة الجغرافية ، وطبيعة التصاويـــر واسلوبها وما تمثله واى نوع من الكتب توضح · لذلك فان خير تسمية هـــي المدرسة العربية في التصوير الاسلامي وذلك لان الرقعة الجغرافية التـــي ازدهرت فيها هذه المرسة هي العالم العربي الاسلامي اولا ، وان جميـــــع المخطوطات الموضحة هي عربية اللغة أو معربة وتعتبر من امهات المؤلفـــات الادبية والطبية العربية ، ثانيا ، ولان تصاوير هذه المدرسة تنقل واقع المجتمع

---

41) Kuhnel, History of Miniature Painting, in (Survey of Persian Art) Vol. III, 1829.

42) E. Gibb, A History of Ottomann, 1, p. 6.

43) Binyon, Gray and Wilkinson (P.M.P.) p. 20.

العربي الاسلامي خلال الفترة الزمنية التي ازدهرت فيها ،ثالثا ، ولان المدارس الاخرى في التصوير الاسلامي قد دعيت باسم السلالة التي رعت تلــــك المدارس ، رابعا ولان المعروفين من رسامي هذه المرسة هم من العرب المسلمين خامسا ، ونعتها بهذا الاسم يميزها عن بقية مدارس التصوير الاسلامـــــي سادسا .

تقييم رســـوم الواسطي

وقد نالت تصاوير الواسطي اعجاب كل من راها وكتب عنها وننقل هنا بعض ما وصفت به هذه التصاوير ، قال بلوشيه يصفها : بانها اكمل الامثلة الموجودة من منمنمات هذه المدرسة (٤٤) . وهذه الرسوم في الحقيقة : هــي من أروع ما انتجته المدرسة البغدادية ، وتحفة من تحف التصوير الاسلامي ان تنوع الصيغ والقابلية في التجديد وبمقدرة فنية مستمرة ، توحي بالحيوية والقوة للتان يكشفهما هذا الفن وهذا يعطي الانطباع ان هذا الانتاج الفني هو احسن ما يمكن ان يشار اليه بالنسبة لذلك العصر (٤٥) . ويكشف التنـــوع الكبير في الصيغ : القوة الابداعية الهائلة وعلى نطاق واسع والتي تسير تماما بطريقها الخاص ، في اللون كما في الموضوع ، وتصل الى قمة الحركة باكملها وترجم المصور او الرسام الاحداث بطريقة موءثرة ومعبرة تماما ، بجعلهــــا تعكس الحياة اليومية مباشرة ، ولكل تصويرة وجد الحل الفني المقنع لكـــل مشكلة تواجهه(٤٦) .

وهكذا فان الواسطي : يظهر استاذ فن شخصي ، وبدلا من ان يخضــع الى القواعد والاصول الفنية التقليدية المستقاة من الفن الساساني او المسيحي استوحى صيغة مما كان يراه حوله من مناظر الحياة الاسلامية ، واتخذ مـــن روعة الكلام وصوره في المقامات الحريرية ، ليس كصور ذهنية ، بل تصاوير تعكس ما كان يراه يوميا (٤٧) . وبما ان المقامات الخمسون تقع حوادثها فـــي مناطق أو اقاليم مختلفة ، فان هذه التصاوير بوضعها لمتقن تعطينا الفرصـــة للنظر وبدون اى عائق في واقع الحياة في العالم العربي ، وهي ذات قيمـــة

44) Blochet, Les Enlumimres des Manuscrits Orientaux, p. 57.
45) Les Arts de L'Iran: L'ancienne perse et Bagdad. pp. 112-113.
46) Kuhnel ,. Die Bagdader Malershule.., in pantheon, XXIII, p 205
47) Les Arts L'Iran, p. 113.

تاريخية كبيرة خصوصا بالنسبة للعراق لانها انتجت هناك • وهذه المرآة الصادقة التي لا نظير لها للحضارة العربية في العصور الوسطى تنقل عمليا كل مظاهر الوجود الانساني من المهد الى اللحد (٤٨) •

ويعتبر تصوير الواسطي ، الذى هو من انتاج القرن الثالث عشر وثيقة لاتقدر بثمن عن الواقعية في التصوير الاسلامي ، وهذه الواقعية ليس في التفاصل الدقيقة للاشياء المصورة ولا في السيطرة على واقع الحياة بكل تعقيداتها وما فيها الاقدار ، بل انه صور الانفعالات النفسية بدقة ، فيعطينا شكلا انسانيا مليئا بالحيوية(٤٩) • ووصف الاستاذ تالبوت رايس هذه التصاوير بانها : ذات نوعية ممتازة ، الرسوم الادمية او الاشكال معبرة لاقصى حد ، والمواضيع والصيغ جميلة جدا والالوان مفرحة ، ومشرقة وموءثرة الى درجة كبيرة(٥٠) •

(الواسطي)

والسوءال الذى يطرح نفسه هو : من هو الواسطي واين كان يعمل ؟

اتفق كل الذين درسوا تصاوير هذه النسخة الفريدة من المقامات الحريرية على انها لا يمكن ان تنسب الا الى بغداد • واستند هؤلاء في نظريتهم هذه الى الواقع الحضارى والفني والسياسي لهذه المدينة وورود اسم الخليفة المستنصر بالله العباسي في كتابة دقيقة بخط النسخ على شريط يزين واجهة مسجد في منمنمة توضح جملا من المقامة ٥٠ البصرية • ان وجود اسم الخليفة يشير في اضعف الاحتمالات ان صاحب المخطوطة كان في خدمة هذا الخليفة وهذا نص الكتابة وادم اللهم ايام سيدنا ومولانا المستنصر بالله •• الـخ وتعتبر هذه الكتابة الاساس الاول والمهم في نسبة المخطوطه الى بغداد • اما الواقعية فانها تشكل الاساس الثاني والمهم في هذه النسبة حيث نجد نظائر لبعض العناصر المعمارية مثل شكل المئذنة والاقواس والشبابيك والزخارف فيما تبقى من عمائر ذلك العصر في مدينة بغداد واسلوب التصاوير والصيغ والعناصر الفنية هي الاساس الثالث الذى اعثرنا عليه في نسبتها الى بغداد تشابه بين منمنمات الوسطي ومنمنمات نسختين من كتاب البيطرة نسختا وزوقتا فى بغداد ٦٠٥هـ (٥١) و ٦٠٦هـ (٥٢) / ١٢٠٩و ١٢١٠ م ويزداد هذا التشابه مع منمنمات نسخة من كتاب الحشائش لدوستوريوس موءرخه ٦٢١ هـ ٢١٢٢٤ (٥٣) وتنسب الى بغداد •

---

48) Ettinghausen, Arab Painting, p.104.
49) Les Arts des L'Iran p. 113.
50 Rice, Islamic Art, p.107.

٥١ ــ هذه النسخة محفوظة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٨ خليل اغا
٥٢ ــ محفوظة فى مكتبة متحف طوبقابى سراي تحت رقم ٢١١٥ احمد الثالث
٥٣ ــ محفوظة فى مكتبة جامع ايا صوفيا رقم ٣٧٠٣ •

وان مقارنة منمنمات الواسطي مع المنمنمات التي تنسب الى الموصل ودمشق والقاهرة تكشف عن اختلاف في التفاصيل وتجعل نسبة هذه المنمنمات الى مدينة غير هذه المدن . لذلك تكون بغداد هي المدينة التي يمكن ان تنتج فيها مثل هذه التصاوير . فالواسطي لابد وانه كان في بغداد حيث الرعاية والعناية لفنون الكتاب .

والحقيقة اننا لا نعرف عن الواسطي الى الان اكثر من اسمه وتاريخ اكماله تزويق نسخة من المقامات الحريرية ويظهر من اسمه انه او عائلته من مدينة واسط . وقلة معلوماتنا عن المزوقين ناشئة من موقف الفقهاء من التصاوير وكان لموقفهم هذا من الاهمية بحيث لم يجرأ احد من المزوقين ان يثبت اسمه في مكان بارز من المخطوطة الا القلائل منهم ومن بين اولئك الواسطي الذى استطاع ان يدون اسمه كمصور لمنمنمات هذه النسخة من المقامات وكناسخ لها . وسبق ان اشرنا الى رسام دون اسمه على ساقي شجرتين في مكان لا يجلب الانتباه . وهذا المزوق هو على بن عبدالجبار النقاش .

ويعكس هذا التخوف من قبل المزوقين من ذكر اسمائهم او تذييل تصاويرهم باسمائهم خوفهم من غضب الفقهاء . وامتد هذا الموقف الى المؤرخين وكتاب السير الذين اهملوا ذكر المشاهير من الرسامين وقد كرسوا صفحات من كتبهم للخطاطين والمذهبين وغيرهم من اعلام المجتمع والعلم . فالباحث عن تاريخ حياة مزوق لا يجد حتى ولو اشارات قليلة عنه . وقد جاء ان المقريزى قد الف كتابا سماه ضوء النبراس وانس الجلاس في اخبار المزوقين من الناس . ولكن وللاسف ان هذا المؤلف لم يصل الينا ومن المحتمل جدا ان فيه معلومات عن الكثير من المزوقين العرب والمسلمين ويمكن اعتبار عدم تثبيت المزوقين اسمائهم وعدم الاشارة اليهم من قبل المؤرخين وكتاب السير النتيجة الاولى لموقف الفقهاء من التصاوير . اما النتيجة الثانية فهي اتلاف الكثير من المخطوطات المزوقة خصوصا اذا وقعت بيد فقيه متعصب او متداين متزمت . وأذا لم تتلف المخطوطة فان اقل ما يمكن عمله بالنسبة لتصاويرها هو تشويه الوجوه او طمسها او قطع الرؤوس بواسطة رسم خط على الرقاب . ويظهر ان الفقهاء كانوا يعتقدون ان هذه الرسوم لها أثر معين وعلاقة بمن تصوره . لذلك فانها تصبح عديمة المفعول اذا قطعت رؤوسها او طمست وجوهها . ويمثل ذلك منمنمات نسخة فريدة ونفيسة من المقامات الحريرية غير مؤرخة ويحتمل انها من انتاج النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادى وتنسب الى القاهرة ، وهي الان في مكتبة معهد اكاديمية العلوم الشرقية في لينينغراد تحت رقم ٢٣ س . فقد رسم خط على جميع رقاب الرسوم الادمية فيه وحتى رسوم الحيوان . اما المثل الثاني فهو منمنمات نسخة اخرى من المقامات الحريرية ، منمنماتها جميلة ، يحتمل

انها عملت في بغداد ما بين ١٢٤٢م و ١٢٥٨م حيث ثبت اسم الخليفة المستعصم بالله على منمنمة منها ، وهي الان في مكتبة متحف السليمانية ٢٩١٦ ، اسد افندى ، محيت روءوس ووجوه الرسوم الادمية والحيوانية في جميع تصاوير هذه النسخة . واثر هذا الموقف كذلك في عدم استعمال الرسوم لتوضيح مبادىء الدين . فلم يزين مسجد او مدرسة او تكية او مشهد بأى تصاوير تشرح مبادىء الدين وتبين اعمال ابطاله كما لم توضح الكتب الدينية مثل القرآن الكريم وكتب الحديث والفقه وغيرها بتصاوير تشرح للاميين مبادىء الدين وعلومه . وكان ذلك ايضا اهم عامل في ازدهار فن الكتابة فحل الخط أو حلت الكتابات في المساجد وسائر المباني محل التصاوير في لعمائر الدينية والمدنية عند اصحاب الاديان الاخرى . تطور الخط وكثرت اشكاله ولم يعرف عن حضارة من حضارات الكون استعملت الخط للاغراض الفنية كما استعمله المسلمون . وادى ذلك ايضا الى تطور وازدهار الفنون الزخرفية بصورة عامة واعطت هذه الفنون طابعها للفن الاسلامي .

ورغم موقف الفقهاء العدائى من التصاوير فان هذا الفن لم يقضى عليه . فكان موقف الفقهاء منه يعتمد على علاقتهم بالخليفة أو صاحب السلطة . فان كان معهم أثر موقفهم وان كان لايبالى بكل ما يفتون لم يوءثر موقفهم . والامثلة التي وصلت الينا من التصاوير الاسلامية تبين هذه الحقيقة . ولعل من يتساءل عن الدوافع لمثل هذا الموقف الذى أثر ، بالاضافة الى ما سبق ، بصورة عامة على تطور فن الرسم والنحت في العالم الاسلامي خلال العصور المختلفة . اعتمد معظم الفقهاء في تحريم وكراهية التصاوير على مجموعة من الاحاديث النبوية الشريفة التي لايشك بصحتها حيث وردت في كتب الصحاح خصوصا صحيح مسلم والبخارى ، وهذه بعضها : ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون ولا تدخل الملائكة بيتا فيه كلبولا تصاوير وان اشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله ومن صور صورة في الدنيا لحلف ان ينفخ فيها الروح وليس بنافخ . والحقيقة ليس في القرآن الكريم ما يحرلا عمل التصاوير خصوصا تلك غير المعبودة . ولكن المبادىء الواردة في هذه الاحاديث وحسب تفسير بعض المفسرين لها واردة في القرآن الكريم كذلك . فاذا فسر الحديث الاول ان المقصود هو الذى يعمل التماثيل للالهة المعبودة فان عمله حرام وأذا فسر الحيث الثاني ان المقصود هو وجود تماثيل آلهة معبودة في دور فان دخول الملائكة فيها غير وارد لان صاحب الدار كافر فلا تدخله الملائكة أما المبدأ الثالث فهو مضاهاة خلق وهذا مبدأ قرآني حيث اختص الله وحده بصفة الخلق ونفخ الروح في الاجسام المخلوقة .

ولكن بعض الفقهاء فسر هذه الاحاديث بانها تحرم التصاوير بصورة عامة

معبودة أو غير معبودة ومن اى مادة صنعت او على اى شيء نقشت ٠

ويستدل من الاشارات التاريخية ان تعميم التحريم قد حدث في العصر الاموى خلال حكم الخليفة عبد الملك بن مروان وحكم الخليفة الوليد بن عبدالملك ٠

وقد ذكر الفقيه المشهور النووى المتوفى سنة ١٢٧٧م عندما فسر الحديث : أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله : قال هي محمولة على من فعل الصور لتعبد وهو صانع الاصنام ونحوها فهذا كافر وقيل هى فيمن قصد المعنى الذى في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى واعتقد ذلك فهذا كافر له اشد العذاب وما للكفار ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره ٠ فاما من لم يقصد بها العبادة ولا المشاهده فهو فاسق صاحب ذنب كبير ولا يكون كسائر المعاصي (٥٤) ٠ ثم يقول عندما يشرح الحديث لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ٠ قال : فأن العلماء سبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة فيها مضاهاة لخلق الله تعالى وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله (٥٥)

وقد أشار الى موضوع العبادة الفقيه والمفسر المشهور القرطبي ، المتوفي سنة ١٢٧٣م صاحب كتاب الجامع لاحكام القرآن ، عندما فسر اية قرآنية تذكر التماثيل التي كانت تعمل للملك سليمان ، قال : وكانت الحكمة من ذلك (عمل التصاوير واتخاذها) لانه بعث عليه السلام والصور تعبر ، فكان الاصلح ازالتها ٠ كما اكد القرطبى مبدأ تشبه من اتخذ الصور بالكفار والمضاهاة (٥٦) ٠ وحصر التعذيب النحوى المشهور أبو علي الفارسي المتوفي في بغداد سنة ٩٨٧م على من صور الله تصوير الاجسام ٠ واما الزيادة فمن اخبار الاماد التي لا توجب العلم ، فلا يقدح لذلك في الاجتماع على ماذكرنا (٥٧) ٠

هذه بعض الاسس التى اعتمد عليها الفقهاء في تبرير تحريمهم للتصاوير ٠ وحاول بعض المستشرقين وعلماء الفنون الاسلامية تفسير هذا الموقف العدائي فقال بعضهم ان ذلك يعود الى تاثير اليهودية في الفقه الاسلامي ٠ فمن المعروف ان الدين اليهودى يحرم صناعة التماثيل والتصاوير وربما ادخل اولئك في الذين تظاهروا باعتناق الدين الاسلامي مثل عبدالله بن سبا وكعب الاحبار وغيرهم ومنهم من مال الى الاعتقاد ان الشعوب السامية تخاف التصاوير بالغريزة وتعتقد ان لها قوى سحرية وان لها علاقة خفية بالذين يصورون ٠ واعتقد بعضهم ان بساطة العرب وسيطرة روح الجهاد عليهم في العصر الاسلامي الاول وان التصاوير من الكماليات التي يستطيع الانسان العيش بدونها قد كان لهما

---

٥٤ ــ النووى ٠ صحيح مسلم ٠ ج ١٤ ٠ ص ٩١

٥٥ ــ النووى ٠ صحيح مسلم ٠ ج ١٤ ٠ صه ٨٤

٥٦ ــ القرطبى ــ الجامع لاحكام القرآن ــ ج ١٣ ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ ٠

٥٧ ــ بشر فارس ــ سر الزخرفة الاسلامية ــ ص ٢ ٣ــ ٣٣

دور في موقف الفقهاء من التصاوير • وقد دعم اصحاب هذه النظريات اقوالهم بحوادث معينة واشارات تاريخية مختلفة •

والحقيقة ان هناك فتاوى ضد التصاوير ، خصوصا رسوم ذوات الارواح ، من عهد الخلفاء الراشدين والى الوقت الحاضر • وهناك بجانب هذه الفتاوى المتصلة نماذج للتصوير الاسلامي من عهد الامويين والى الوقت الحاضر وهذه النماذج من الكثرة بمكان بحيث نستطيع من خلالها ان نتتبع تطور هذا الفن لمختلف الازمنة • وخير ما يمثل ذلك فتوى فقيه وقول حكيم وعالم عن التصاوير • قال على بن عبدالله الغزولى ، الطبيب الدمشقي المعروف والمتوفي سنة ١٢٦١م ، في كتابه مفرح النفس : وتفكر فى كون الحكماء المتقدمين الذين استخرجوا الحمام ما ذكر في مدد من السنين ، نظروا وعملوا وتيقنوا أن الانسان اذا دخلها تحلل من قواه الشيء الكثير ، فاتفقوا بحكمتهم وجالوا بفكرتهم واستخرجوا بعقولهم ما يجبر ذلك سريعا • فقرروا ان يرسموا صورا باصباغ حسنة ، يوجب النظر اليها زيادة القوى والارواح • وقسموا ذلك التصوير ثلاثة اقسام وذلك انهم علموا ان ارواح البدن ثلاثة اصناف : الحيوانية والنفسانية ، والطبيعية • فجعلوا كل قسم من التصاوير سبب لتقوية قوة من القوى المذكورة والزيادة فيها • اما الحيوانية فالقتال والحرب والملحمة • واما القوى النفسية فالعشق والتفكر فى العاشق والمعشوق ، واما القوى الطبيعية فالبساتين وصور الاشجار والاثمار والاطيار وما اشبه ذلك • ولهذا السبب أذا سألت المصور عن تصوير الحمام يذكر لك هذه الصفات ولا يعلم لها تعليلا ، وصارت جزء من من اجزاء الحمام الفاضل ، وما سبب عدم معرفته بذلك الا بعد السنين وتقادم العهد • فما خل قىشىء سدى وما جعل شيء هدرا (٥٨) •

ونذكر هنا فتوى الفقيه المشهور ابو زكريا يحيى بن شرف النووى المتوفى سنة ١٢٧٧هـ • قال النووى قال اصحابنا وغيرهم من العلماء : تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم ، وهو من الكبائر ، لانه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الاحاديث • وسواء صنعه لما يمتهن او لغيره فصنعته حرام بكل حال ، لان فيه مضاهاة لخلق الله تعالى ، وسواء كان في ثوب او بساط او درهم أو دينار أو فلس أو اناء او حائط او غيرها • واما تصوير صورة الشجر وجبال الارض وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام • هذا حكم نفس التصوير • واما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان ، فان كان معلقا على حائط او ثوبا ملبوسا او عمامة ونحو ذلك مما لا يعد ممتهنا فهو حرام ، وان كان في بساط يداس ومخدة ووسادة ونحوها مما يمتهن فليس بحرام • ولا فرق في هذا كله بين ما له ظل وما لاظل له • هذا تلخيص مذهبنا في

---

٥٨ ـ بشر فارس : سر الزخرفة الاسلامية • ص ٤١ •

المسألة • وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهو مذهب الثوري (سفيان الثوري المتوفى سنة ٧٧٨م) ومالك (مالك بن انس المتوفي ٧٩٥م) وابى حنيفة (النعمان بن ثابت المتوفى سنة ٧٦٧م) وغيرهم :ـ وقال بعض السلف : انما ينهى عما كان له ظل ولا بأس بالصور التي ليس لها ظل • وهذا مذهب باطل ، فان الستر الذى انكر النبى (ص) الصور فيه لا يشك احد انه مذموم وليس لصورته ظل مع باقي الاحاديث المطلقة في كل صورة (٥٩) •

---

٥٩ ـ النووى • صحيح مسلم • ج ١٤ • ص ٨١ ـ ٨٢

المراجـــع العـــربية

١ • ابو الفدا ، (اسماعيل بن مالك الفضل نور الدين علي) ، مختصر تاريـــخ البشر ، كوبنهاجن ، ١٧٨٩ ـ ١٧٩٤

٢ • ابو شامة (محمد عبد الرحمن بن اسماعيل) : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، الذيل على الروضتين ، طبعة الحسيني ، القاهرة ١٩٤٧ •

٣ • ابن الاثير (عزيز الدين ابو الحسين علي الشيباني) ، الكامل في التاريـخ ليدن ، ١٨٦٦ ـ ١٨٧٤ •

٤ • بشر فارس (سر الزخرفة الاسلامية) مطبعة المعهد الفرنسى للاثار الشرقية ، القاهرة ١٩٥٢ • بتف بتفه بتكه تفك

٥ • ابن الفوطي (ابو الفضل عبدالرزاق) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة ، تحقيق مصطفى جواد • بغداد ١٩٣٢ •

٦ • ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي) المنتظم في تاريخ الملوك والامم • حيدر اباد ١٩٤٨ ـ ١٩٥١ •

٧ • ابن جبير (ابو الحسين محمد بن احمد) الرحلة ، ليدن ، ١٩٠٧ •

٨ • ابن خلكان (احمد بن محمد) ، وفيات الاعيان ، بولاق ، ١٨٨٢ •

٩ • ابن الطقطقي (محمد بن علي) ، الفخرى في الادب السلطانية ، باريـس ، ١٨٩٥ •

١٠ • المقريزى (تقي الدين احمد بن علي) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطـــط والاثار ، بولاق ، ١٨٥٤ •

١١ • المسعودي (ابو الحسن علي بن الحسين) ، مروج الذهب ومعادن الجوهره باريس ، ١٨٦١ ـ ١٨٧١ •

١٢ • المقدسي (ابو عبد الله محمد بن احمد) ، احسن التقاسيم في معرفــــة الاقاليم ، بريل ١٨٧٧ •

١٣ • النووى (ابو زكريا يحيى بن شرف) ، صحيح مسلم ، القاهرة ، ١٩٣٠ •

١٤ • القرطبي (ابو عبدالله محمد بن احمد الانصاري) ، الجامع لاحكام القران ، القاهرة ، ١٩٣٥ ـ ١٩٥٠ •

١٥ • احمد تيمور ، (التصوير عند العرب) • القاهرة ، ١٩٤٢ •

١٦ • ياقوت الحموى (شهاب الدين ابو عبد الله الحموى) ، معجم البلـــدان ، ليبزك ، ١٨٦٦ ـ ١٨٧٠ •

١٧ • زكي محمد حسن ، (كنوز الفاطميين) • القاهرة ، ١٩٣٧ •

١٨ • زكي محمد حسن ، (اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلاميــــة) ، القاهرة ، ١٩٥٦ •

المراجع الاجنبية

1. Arnold, T.W., and Grohmann, A., The Islamic Book, Pegasus Press. Paris, 1929.

2. Les Arts de L'Iran: L'ancienne Perse et Bagdad, Catalogue de l'Exposition de la Bibliotheque Nationale, published by H. Corbin, etc., Paris, 1938.

3. Binyon, L,. Gray, B., and Wilkinson, J.V.S. Persian Miniature Painting, Oxford, 1933

4. Blochet, E., Les Enluminures des Manuscripts Orientaux ---- turcs, arabes, persans, -- de la Bibliotheque Nationale, Paris, 1923.

5. Blochet, E., Musulman Painting,XIIth - XVIIth century, translated from French by Cicely M. Binyon. London, 1929.

6. de Lorey, E., "La Peinture Musulman, L'Ecole de Bagdad", in Gazette des Beaux-Arts, 6me per, X, pp. 1 - 13. Paris, 1933.

7. Ettinghausen, R., Arab Painting, London. 1962.

8. Kuhnel, E., "Painting and the Art of the Book", in survey of Persian Art.

9. Rice, D.T., Islamic Art. London, 1965

السلسلة الفنية الخاصة التي صدرت بمناسبة

مهرجان الواسطي

١ ـ مدرسة بغداد في التصوير الاسلامي — الدكتور زكي محمد حسن

٢ ـ الواسطي ـ يحيى بن محمود بن يحيى
رسام وخطاط ومذهب ومزخرف — الدكتور عيسى السلمان

٣ ـ المخطوطات العراقية المرسومة في العصر العباسي — الدكتور خالد الجادر

٤ ـ المرأة في رسوم الواسطي — ناهدة عبدالفتاح النعيمي

٥ ـ تراث الرسم البغدادي — الدكتور محمد مكية

يحيى الواسطي شيخ المصورين في العراق — ميخائيل عواد

الخصائص الفنية والاجتماعية لرسوم الواسطي — شاكر حسن آل سعيد

٦ ـ المدرسة العربية في التصوير الاسلامي — الدكتور عيسى السلمان

ملامح مدرسة بغداد لتصوير الكتاب — نوري الراوي

الثمن ٢٥٠ فلسا طبعت بمطبعة «التايمس»



وزارة الاعلام العراقية ـ مهرجان الواسطي ـ نيسان ١٩٧٢

طبع الغلاف في مؤسسة رمزي للطباعة تلفون : ٣٨٠٥١ ــ بـ